تقديم إلى الساحة المقدسة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله

التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة (الجزء الثالث)
بنو اسرائيل والنبوة

إسماعيل شفيعي سروستاني

التاريخ الثقافى لقبيلة اللعنة (الجزء الثالث)
بنو اسرائيل والنبوة
المؤلف: إسماعيل شفيعي سروستاني
التنقيح: وحدة البحوث بمؤسسة موعود العصر(عج) الثقافية
الناشر: هلال
الطبعة: الأولى، ٢٠١٨
مكان الإصدار: طهران

الفهرس

المقدمة ٧
مقدمة الجزء الثالث ١٥
بنو اسرائيل والنبوة ١٧
خارطة حركة النبي ابراهيم(ع)..... ٢١
أبناء ابراهيم(ع) ٢٩
بنو اسرائيل والمنقذ موسى(ع)..... ٣٣
هجرة التاريخ الكبرى..... ٤١
عجل السامري ٤٥
مصير السامري..... ٥٥
النبى موسى(ع) وقوم منحرفون ٥٦
أربعون عاما من التيه في وادي التيه..... ٥٩
خلافة النبي موسى(ع)..... ٦١
كل مبتغى الله المتعال، لم يتحقق..... ٦٦
إنحراف «بني‌اسرائيل» ونشأة تنظيم قبيلة اللعنة..... ٧١
أنبياء بني‌اسرائيل في مواجهة أشرار بني‌اسرائيل ٧٤
عبادة بني‌اسرائيل للأوثان، المعابد ورموز بعل..... ٧٩

الطقوس..... ٨٣
الثقافة المعبدية وأسباط بني‌اسرائيل..... ٨٧
أسباط بني‌اسرائيل وكهانة لاوي..... ٨٨
ورثة السامري..... ٩٣
جلاء بابل..... ١٠٣
يا أورشليم! إلى متى تريدين أن تبقين غير طاهرة؟!..... ١٠٩
تحذيرات النبي ارميا(ع)..... ١١٠
النفخ في الأصوار..... ١١٩
لعنة ارميا..... ١٢٣
هراوة الله هوت!..... ١٢٥
مأتم إرميا النبي(ع) وخاتمة نبوخذ نصر..... ١٢٩
بشارة النجاة والفكر الإنقاذي..... ١٤١
العودة إلى أورشليم..... ١٤٧
الحركات الدينية قبل بعثة السيد المسيح(ع)..... ١٥١

المقدمة

التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة

الحمد لله رب العالمين، والتوسل إلى الساحة المقدسة لحضرة رحمة للعالمين محمد بن عبد الله ﷺ. إن الحجر الأساس لهذا العمل الذي عنوانه «التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة» وضع عندما، كان كتاب «التاريخ الثقافي لقبيلة الرحمة»[1] يسلك مراحله الإكمالية. وقد استند المؤلف في ذلك الكتاب إلى المصادر الروائية لاسيما «دعاء الندبة» ليبين المنعطفات التي مرت بها سلسلة الأنبياء والأوصياء الإلهيين وكذلك المنعطفات التي نمر بها حتى نصل إلى اخر محطة، أي تأسيس الدولة الكريمة الطيبة بوصفها آخر حلقة من سلسلة الأولياء والأوصياء الإلهيين. محطة مقدسة وُعد بها وبوركت، وتنطوي في ذاتها على جميع شؤون واعتبار الحكومة الحقة والعالمية للمستضعفين، بحيث أن الله تعالى وعد بتحقيقها في كتابه المبين حيث قال:

«وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»[2]

---

١. وهذا الكتاب صدر عن إصدارات موعود العصر عجل الله فرجه.

٢. سورة القصص، الآية ٥. وقال الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية الشريفة «**إن هؤلاء هم آل محمد ﷺ. إن الله يرسل مهديهم بعد ما تكبدوا من عناء وضغوط ويعزهم ويذل أعداءهم.**»، «التفسير النموذجي»، جمع من الكتاب، ج ١٦، ص ١٨، نقلا عن «تفسير نور الثقلين»، ج ٤، ص ١١٠.

ويبدو أنه بموازاة سير وسفر «قبيلة الرحمة» على امتداد التاريخ، فان «قبيلة اللعنة» مضت قدما كتفا بكتف لتؤدي دورها.

إن عنوان «قبيلة اللعنة» هو عنوان عام ينطوي في حد ذاته على مجمل معنى ومفهوم «ائمة الكفر»، ويطلق على جميع الكافرين الذين يدعون الاخرين إلى الكفر والشرك ويمهدون لضلال أبناء آدم. وبما أن ابليس اللعين، هو كبير ومؤسس هذه القبيلة وهو راعيها وحاميها، لذلك أطلق على هذه القبيلة واتباعها مثل «بنو اسرائيل» إسم «قبيلة اللعنة.»

وقد جاء «القرآن الكريم» على ذكر هذه القبيلة بأسماء وتعابير مختلفة بما فيها المستكبرون (سورة سبأ، الآيتان ٣٣-٣٤) وأئمة يدعون إلى النار (سورة القصص، الآية ٤١) وكل أولئك الذين يرتبطون بشكل ما بائمة الكفر وقبيلة اللعنة.

«وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ»[١]

واستنادا إلى القرآن الكريم، فان هذه القبيلة وتابعيها، لا يُنصرون من قبل أي شفيع: **«وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ»**،[٢] وبما أن الاخرين يتبعونهم في الكفر والمعاصي، فانهم يُحمّلون دوما عبء ذنوب مثل ذنوب أنصارهم، ولذلك ومع استمرار الكفر والمعاصي، فان اللعنة الأبدية ستطالهم.

«وَأُتْبِعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ»[٣]

وهذه الطائفة أدت إلى إستضعاف وضلال الناس، بحيث أنها حرفتهم بمجملهم عن صراط الحق وجعلتهم يقاسون في الدنيا والاخرة من التعاسة والخسران.

«وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا

١. سورة القصص، الآية ٤١.
٢. المصدر السابق.
٣. المصدر السابق، الآية ٤٢.

الاَغْلالَ فِى أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»[١]

وفـي تقلبات وهبـوط وصعود التاريخ، فان أئمة الكفـر والضلال، هم الذين يصطفـون في مواجهـة أئمة الدين وقبيلـة الرحمة، وبالرغم مـن الموقع الزماني والمكاني المختلف، فان كلهم، سـتكون لهم روح وروحيـة ثابتة وبالتالي عاقبة ثابتة أيضا.

وأول شـخص من بين جُـل الكائنات الانسـية والجنيـة، المتصف بصفة «المسـتكبر» وبالتالي يسـتحق اللعنة الإلهية الأبدية، هو **إبليس**، بحيث أن الله تعالى قال بشأنه في القرآن الكريم:

«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائكَة اسْجُدُواْ لـآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ»[٢]

وعلـى أثر هذا الإسـتكبار، كان جليا أن يطرد ابليـس من رحمة الله ويصبح رجيما ولعينا إلى الابد.

«قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ»[٣]

وبعد **إبليس**، يقدم القرآن جميع الذين ينقضون عهد الله المتعال ويفسدون في الأرض ويمهدون لضلال الناس، على أنهم من الذين لا ينالون رحمة الله، ويعتبرهم من الملعونين، بحيث قال تعالى:

«وَالَّذِيـنَ يَنقُضُـونَ عَهْدَ الله من بَعْـد ميثَاقه وَيَقْطَعُونَ مَـا أَمَرَ اللهُ به أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الاَرْضِ أُوْلَئكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»[٤]

وفي الثقافة القرآنية، فان الذين يعرضون عمدا عن الحقائق الواضحة ويتنكرون لها بعدما تبين لهم البينات والهدى، فانهم سيكونون ممن تنالهم لعنة الله.

«إِنَّ الَّذِيـنَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ

---

١. سورة القصص، الآية ٣٣.
٢. سورة البقرة، الآية ٣٤.
٣. سورة ص، الآيتان ٧٧-٨٧.
٤. سورة الرعد، الآية ٢٥.

فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ»[١]

وفي الحقيقة، فان هذه الجماعة، وبعد اطلاعها على الحقائق وإتمام الحجة عليها من قبل الأنبياء الإلهيين والحجج السماويين، وبعد مشاهدة أدلة وحجج الكتب السماوية مارست العناد وتصدت لإرادة الباري تعالى، وأبدعت الفساد والضياع والضلال بين الناس وفي الأرض، لذلك إستحقت اللعنة وابتعدت بذلك عن رحمة الله.

ويصنف الباري تعالى الفئات الثلاث «الكفار» و «المشركون» و «المنافقون ومن يؤذون الله ورسوله» في خانة الملعونين. وفي هذه الأثناء هناك مجموعات وأصناف مختلفة من الناس، يمهد التعرف عليهم وتحديدهم، تجربة وتحديد سائر مصاديق الملعونين المنتشرين على مدى القرون والأعصار.

إن إبليس وفرعون و«اليهود» و «بني‌اسرائيل» و«أصحاب السبت»،[٢]

---

١. سورة البقرة، الآية ١٥٩.

٢. كانت جماعة من طائفة بني‌اسرائيل في عصر النبي داود عليه السلام تعيش بالقرب من ساحل «البحر الأحمر» في ميناء «أيلة» («تفسير الكشاف»، ج ١، ص ٣٥٥) وكان عليهم أن يتبعوا مذهب ابائهم واجدادهم وأن يتفرغوا يوم السبت لعبادة ربهم، وكانوا وفقا لدينهم، يحرمون الصيد يوم السبت. وسبب حرمة الصيد في يوم السبت بالنسبة لليهود يعود إلى أن الله تعالى طلب من اليهود بواسطة النبي موسى عليه السلام أن يكرموا ويعظموا يوم الجمعة، وأن يعرضوا في هذا اليوم عن الامور المادية والدنيوية ويهتموا بالأمور المعنوية والأخروية. لكن اليهود تمردوا على هذا الأمر الإلهي واختاروا الجمعة للعمل والسبت كعطلة، وكانوا يعتبرون السبت أعظم الايام. وبناء على ذلك، فان القهر والغضب الإلهي طالهم وحرم عليهم الصيد يوم السبت. («بحار الأنوار»، محمد باقر المجلسي، بيروت، دار احياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣، ج ١٤، ص ٤٩).

وكان السمك يشكل السلعة الإستراتيجية لهذه المدينة، وكان معظم سكانها يقتاتون على صيد الأسماك. وبما أن الله أراد اختبارهم وابتلائهم، فاختبرهم بان تأتي أسماك البحر يوم السبت الذي كان يوم الأمان بأمر وإرادة من الله إلى شاطئ البحر وتملأ سطح الماء بحيث كان بوسع الصيادين صيد عدد كبير من الأسماك في فترة زمنية قصيرة وباقل جهد، لكن الأيام الاخرى لم تكن آمنة للأسماك وكانت تبتعد عن ساحل البحر وتغوص في أعماقه، بحيث كان يصعب صيدها: «**إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ * لَا تَأْتِيهِمْ * كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**» (سورة الأعراف، الآية ١٦٣).

لكن دافع الجشع والطمع تحرك لديهم وأذكى دأب النهم لدى مذنبي هذه القرية وغفلوا عن أوامر أنبيائهم. ونسوا ما كانوا قد سمعوه وأخذوا يتبادلون الرأي ووجهات النظر وقالوا: لماذا نترك الأسماك في اليوم الذي تظهر فيه بكثرة على سطح الماء وتهرع بأنفسها إلينا، ونصطادها في اليوم التالي الذي تهرب منا؟! ولذلك فقد احتالوا الحيل ليحللوا ما حرم الله عليهم، وصنعوا أحواضا وبركا بجانب البحر ليتمكنوا من جمع الأسماك في القنوات والأنهر الصغيرة المتعددة التي تصب في البحر. فانقسم أهل القرية إلى ثلاث فرق:

١. إنضم معظم أهل القرية إلى أصحاب البدعة والمحتالين وتعاونوا وتماشوا معهم؛

و«ناكثي العهد» و«الشجرة الملعونة»[1] و«المنافقين» و«أصحاب الجحيم» والمفسدين في الأرض وبعض آخر من الناس، منخرطون في زمرة الملعونين، ونزلت العديد من الآيات بشأنهم.

«**أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللّاعِنُونَ**»[2]

وكأن التيارين الرئيسيين المتمثلين في«قبيلة الرحمة» و «قبيلة اللعنة» كانا ساريين في الكون والوجود طوال التاريخ ومنذ خلق **آدم أبي البشر**عليه السلام، وسيستمران حتى تأسيس الدولة المهدوية الكريمة، وبغير هذين، فان باقي الطوائف، مشت على الأرض في ظل انتقاء ودمج تعاليم وسيرة وسنة أهالي هاتين القبيلتين. وثمة مصاديق متعددة للثقافات والحضارات السابقة واللاحقة، كل منها، يعرض أوجها من التوجهات والإنطباعات والسنن والتقاليد الرحمانية أو الشيطانية لهاتين

---

٢. وكان ثمة من المؤمنين الذين ترسخ الإيمان في أعماق قلوبهم؛

٣. وثمة من لم يكن لهم موقف والتزموا الحياد.

والفئة الاولى التي كان يزداد عددها يوما بعد يوم، وقفت بوجه الناهين عن المنكر، واعتبرت مكرها ابتكارا وابتداعا وعملا جميلا، وقالت تبريرا لما تقترفه: إننا أطعنا أمر الله ولا نصطاد يوم السبت بل نصطاد في يوم الأحد. («تفسير البرهان»، ج ٢، ص ٤٢)، وبهذا لم تؤثر نصائح الفرقة المؤمنة عليهم وقررت هذه الفرقة بالتالي الهجرة حتى لا يطالها عذاب الله. وفي ليلة الهجرة نزل العذاب الإلهي على الآثمين العاصين: «**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**» وفي أعقاب هذا الأمر تحول جميع من تبقى في القرية، إلى قردة خاسئين («بحار الأنوار»، ص ٥٦، الرواية ١٣). وأغلقت بوابة قريتهم ولم يكن باستطاعة أحد الخروج منها. ومع سماع هذا الخبر، توافد سكان المدن والقرى الأخرى على هذه القرية، وتفرجوا من على أسوارها، الرجال والنساء المخادعين الذين تحولوا إلى قردة.

وقرر الوعاظ الذين هجروا القرية، العودة إليها. وتوجهوا إلى القردة الذين كانوا يشبهونهم وأصدقائهم وسألوهم: هل أنت فلان؟ وأومأ القرد الذي سئل مصدقا برأسه فيما كان الدمع ينهمر من عينيه. وأرسل الله تعالى بعد ثلاثة أيام، الرياح والأمطار العاتية التي أهلكت الجميع ولم يبق أحد ممن مسخوا في تلك القرية. («أصحاب السبت»، عاشوري، زهراء، نامة جامعة، مرداد ١٣٨٥، العدد ٣٢، ص ٤٨، بتصرف وتلخيص).

١. وقد أرى الله تعالى، في عالم الرؤيا لنبيهصلى الله عليه وآله الشجرة الملعونة (القوم الملعونون والذين يؤذون النبي وأهل بيته) وجزء من أفعالهم وعندها بيّن لهم بان هذه فتنة. «**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ**» واستنادا إلى الكثير من الروايات التي رواها أهل السنة، وكذلك جميع الأحاديث الواردة عن ائمة أهل البيتعليهم السلام، فان المراد من الرؤيا في هذه الآية، هي الرؤيا التي رآها النبي الأكرمصلى الله عليه وآله حول بني أمية وأن الشجرة الملعونة هي هذه السلالة والسلسلة. («تفسير الميزان»، ج ١٣، صص ١٣٨-١٤٠، توضيحا لآيتي سورة الأعراف ١٦٢ و ١٦٦؛ وسورة الإسراء، الآية ٦٠).

٢. سورة البقرة، الآية ١٥٩.

الطائفتين.

والمؤسف أن اتساع نطاق وعمق الإنتقائية والإندماج في هذه المجالات الثقافية والحضارية، ضيّق الخناق على إمكانية التعرف على مدى اختلاط كل من المستويات الثقافية والمادية للأمم وعلاقاتها وتعاملاتها مع هذين التيارين المتجذرين الرحماني والشيطاني. ولذلك، يبدو من الصعوبة بمكان التشخيص الشامل للمواقع والتناسب العملي والنظري لسكان الأرض مع المظاهر التامة للرحمة أو اللعنة لعامة الناس، ولابد لعامة سكان الشرق والغرب، أن يواصلوا رحلتهم المحفوفة بالمخاطر على مدار الظن في مشهد التاريخ.

ولا شك أنه في وقت الغربلة الكبرى للوقائع والحوادث المستقبلية وما بعدها في وقت الظهور الأكبر للإمام المبين عجل الله تعالى فرجه الشريف، تحدث إصطفافات دقيقة بين سكان الأرض وكل فئة تنضم إلى المجتمع الذي تنتمي إليه، إلى أن تقوم الدولة الكريمة الموعودة المنزهة عن أي بدع وهرطقات وإعوجاجات.

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن إجراءات الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فقال عليه السلام:

«يَصْنَعُ ما صَنعَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله يَهْدِمُ ما كانَ قَبْلَهُ كَما هَدمَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله أمْرَ الجَاهليَّة ويَسْتأنفُ الاسْلامَ جَديداً.»[1]

إن هذا الكتاب القائم على إنطباعات وتوجهات الأديان التوحيدية تجاه العالم والانسان والتاريخ، بصدد الإعلان عن أن:

أولا: إن خلق الكون قائم على أساس علم وحكمة الخالق المتعال، وأن الانسان بوصفه أشرف الكائنات، قد خلق بهدف الوصول إلى مقصود ووجهة نبيلة وسامية؛

ثانيا: إن أول انسان أي النبي **آدم ابو البشر** عليه السلام (نعوذ بالله) لم يخلق جاهلا ومليئا بالخرافة والجهل، بل أنه بدأ رحلته في التاريخ بعلم واختيار كافيين وبأعتباره

١. «بحار الأنوار»، محمد باقر المجلسي، ج ٥٢، ص ٣٥٢.

حجة الله؛

ثالثا: إن ما حدث لأبناء وأحفاد وأجيال أول انسان على امتداد الثقافات والحضارات وأدى إلى إنحرافهم عن الصراط المستقيم لحضرة الحق (زاخر بالعلم والحكمة ومنزه عن الجهل والخرافة)، هو حصيلة عمل الشيطان وحقده على الإنسان وموقعه ومقامه.

رابعا: إن التفاسير والتحليلات التي قدمها المؤرخون حول الثقافات والحضارات القديمة، هي نتيجة عدم إطلاعهم وغفلتهم عن وجود القوى الماورائية للشياطين الجنية والعلوم الغريبة التي كانت كافة الحضارات والثقافات على علم واطلاع عليها وأصيبت بها.

إن هذه الكائنات المتمردة والحاقدة وانشغال الأمم بالعلوم والفنون المرتبطة بها، أدى إلى إبتعاد وانفصال الثقافات والحضارات عن قبيلة الرحمة (سلالة الأنبياء والأوصياء الإلهيين) وأقحمهم في زمرة قبيلة الملعونين؛

خامسا: وبالتالي فان السلسلة الطويلة لقبيلة اللعنة، استمرت منذ أن جعلها وأبدعها إبليس الرجيم ولحد يومنا هذا، وتسببت في تشكل ونشأة مجموعة «المحافل الخفية والسرية» (أكانت الماسونية أو الإيلومياتية و...).

إن هذه المحافل ورثت جملة تعاليم وتجارب وانطباعات أجدادها، لتتأسى بأول مطرود ورجيم (إبليس وأنصاره بين الشياطين)، وتدخل في مواجهة دائمة مع مختاري قبيلة الرحمة لاسيما حضرة خاتم الأوصياء المهدي الموعود روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء، وتملأ الأرض ظلمة وعتمة وضياعا، وتقيم عليها الحكم الإستبدادي العالمي.

إن ما تتبناه هذه الرسالة هو:

١. تبيان مبادئ وأسس ومصادر فكر وعمل أهالي قبيلة اللعنة؛

٢. تبيان علم كونيات وعلم عالم معلمي ومروجي توجهات قبيلة اللعنة تجاه الكون والوجود؛

٣. تبيان المنطلق والوجهة النهائية ومسـار وطريق هذه القبيلة منذ اليوم الأول وحتى خاتمة المطاف؛

٤. المنعطفات التي مـرت وتمر والتالية لهذه القبيلة وحتى الورود إلى الوقت المعلوم الموعود؛

«فإنَّكَ مِنَ المُنْظَرين إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلوم»[١]

٥. تبيان مسار التطور التاريخي للمحافل الخفية والأوجه السياسية والإجتماعية لهذه المحافل في الغرب؛

٦. تقديم أشهر المحافل الخفية وصاحبة السلطة المؤثرة في عالم اليوم.

وقد ركز المؤلف جُل اهتمامه لتكون جميع المعطيات والتحليلات مسـتندة ومعتمدة على المصادر والمستندات والمراجع الموثوق بها والقابلة للإعتماد.

وأقدم هذا العمل كله إلى أفضل إنسان وأكثرهم تميزا من قبيلة الرحمة، حضرة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وهو الذي قال الله تعالى بشأنه:

«ومَا أرْسَلناكَ إلاّ رَحْمَةً لِلعالَمين»[٢]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إسماعيل شفيعي سروستاني

شتاء ٢٠١٤

---

١. سورة الحجر، الآيتان ٣٧-٣٨. وطلب ابليس من الله أن يطيل في عمره ويستمر حتى يوم القيامة. واستجاب الله طلبه بحياة طويلة، لكنه ومع الإتيان بـ«إلى يوم الوقت المعلوم» رفض استمرارها حتى القيامة، لذلك فان حياة ابليس تنتهي قبل القيامة وفي وقت ظهور إمام الزمان عليه السلام.

٢. سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

مقدمة الجزء الثالث

الثناء والحمد لله تعالى والأمل معقود على عناية مولانا وصاحبنا الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، فقد وفقنا بتقديم الجزء الثالث من مجموعة «قبيلة اللعنة».

وكما يستشف من مقدمتي الجزئين الأول والثاني من هذه المجموعة واللذان صدرا في وقت سابق، فان مسار تحول وتطور فكر وعمل الشيطان، وصل إلى قضية بني اسرائيل والأنبياء الذين بعثوا إليهم، ما يمثل حقبة مهمة من حياة البشرية على الأرض، والتي لن ينسى دورها وأثرها إلى اليوم الذي يجرب فيه الإنسان السير والسفر على امتداد التاريخ.

لقد كان بنو اسرائيل، مؤشرا إليهم ويحملون مهمة، لكن المؤسف ولأسباب مختلفة – تمت دراستها في هذا الكتاب بحيادية وموضوعية – تثبطوا في منتصف الطريق وتعوقوا عن الذهاب حتى النهاية في إنجاز مهمتهم الموكلة إليهم على الرغم من مجاهدة ومثابرة جميع الأنبياء الالهيين العظام والمؤمنين المجاهدين.

إن دراسة جميع الأحداث والتطورات والوقائع التي مر بها بنو اسرائيل، تميط اللثام عن الكثير من السنن التاريخية الثابتة، بحيث أن التعرف على جميع أعاظمهم وشخوصهم الشهيرة – الأشخاص والحوادث – في مختلف الحقب، يكشف عن أسرار العديد من التطورات اللاحقة.

ويبدأ هذا الكتاب، بحثه منذ الوقائع التي حدثت لشيخ الأنبياء **ابراهيم خليل**

الرحمنعليه السلام وسفره ورحلته من «اور» إلى «الخليل» حيث ووري الثرى، ويتقدم خطوة خطوة نحو عصر نبوة النبي **موسى**عليه السلام والمهمة التي حملها سائر أنبياء هؤلاء القوم. إن نشأة الثقافة المعبدية وجلاء اسباط بني‌اسرائيل من «بابل»، يجعل القارئ المتفحص، يواجه واحدا من أهم المنعطفات التاريخية لقبيلة اللعنة.

إن «التشرذم» بين الأمم والشعوب، والتحول إلى مثل يضرب به للتمرد والعصيان، لم يكن مقدرا ذات يوم لبني‌اسرائيل، لكن كل ما زرعوه، حصدوه في مزرعة التاريخ وفي دهر ملئ بالكآبة والانتظار القاسي للقاء منقذ، اخر في فرصة أخرى.

وينتهي هذا الكتاب، مع تبلور ونشاة الحركات الدينية، قبل بعثة **عيسى المسيح**عليه السلام وهجومه على الشموليين من اهل التحريف المنتمين والتابعين لقبيلة اللعنة.

والمؤمل، أن يتم تسليط الضوء على مسار تطور فكر وعمل هذه القبيلة، ومن ثم ولادة وبعثة النبي عيسىعليه السلام حتى العصر الحاضر، في كتب اخرى.

وأسجل جل شكري وتقديري للاعزة الذين ساندوني وآزروني في توفير المصادر والمراجع، والكتابة والتنقيح ونشر الكتاب. وكلي أمل، أن يكون كل جهدهم ومواكبتهم، مقبولا من لدن حامل راية قبيلة الرحمة والنجاة، مولانا صاحب العصر والزمانعجل الله فرجه الشريف. إن شاء الله.

إسماعيل شفيعي سروستاني

شتاء ٢٠١٥

بنو اسرائيل والنبوة

وفي المسار المتقلب والملئ بالصعود والهبوط ل «قبيلة اللعنة» نصل إلى «بني‌اسرائيل» وبعدهم إلى «اليهود»، والتاريخ الطويل لقوم، اضطلعوا بلا شك وعلى مدى أكثر من أربعة الاف عام، بدور رئيسي في نشأة وبلورة العديد من التيارات الثقافية والحضارية للامم والشعوب.

ومن دون التعرف على ما جرى ومرّ على هؤلاء القوم، وما تسبب من أداء لهم لسائر الأمم، فانه لن تتوفر إمكانية تقديم تعريف وتحليل شامل عن الموقع الثقافي والحضاري للعصر الحاضر والانسان المعاصر، وبهذا القدر، يصبح من الصعوبة بمكان التكهن بشأن الظروف التي يمر بها سكان الأرض.

إن إسرائيل هو أحد أسماء النبي **يعقوب بن اسحاق**عليه السلام. ولهذا فانه يطلق على جميع الأنبياء من ذرية يعقوب ممن بعثوا لاحقا، اسم «بني‌اسرائيل»، وفي المقابل يطلق اسم «بني اسماعيل» على الانبياء الذين بعثوا من ذرية **اسماعيل**عليه السلام.

وتعود بداية تاريخ قوم «بني‌اسرائيل» إلى حياة جدهم الأعلى النبي **ابراهيم خليل الرحمن**عليه السلام. وكان النبي ابراهيمعليه السلام قد جاء باسرته إلى «كنعان» بنحو ٢٠٠٠ عام قبل الميلاد.

ويقول **البر ماله** حول الإقامة الأولى لـ«بني‌اسرائيل»:

لقد كان الشعب اليهودى جماعة صغيرة من بنى سام، وقد جاؤوا أصلا

مــن «كلدة». وأمضت قبائلهم مدة طويلة فــى الصحارى الواقعة ما بين «بيــن النهرين» و «فلســطين» و «مصر» وهم يعيشــون تحــت الخيام، وكانوا يعيشون على غرار معيشة سكان الخيام فى الصحراء الافريقية. وكانــوا يتنقلــون عبر الوديان المشــبعة بالماء والنبــات، وبعد أن كانت مراعيهم تشــرف على الإنتهاء والزوال، كانوا يغيرون مكانهم، ويتنقلون خاصة فى حوالى فلســطين ومصر، لان الأرض الخصبة والميمونة لتلك المناطق، أعجبتهم. وعندما استقر بهم المقام فى فلسطين، كانوا منقسمين إلى قبائل واختاروا ملكا لهم فقط قبل نحو ألف عام قبل الميلاد.[١]

ويرى بعض العلماء، بان «الكنعانيين» هم من أطلقوا إسم العبراني على النبي **ابراهيــم**عليه السلام بعد وصوله إلى أرض «كنعان، وتحول الإســم تاليا إلى أحد ألقاب النبــي ابراهيمعليه السلام، وبقي فــي ذريته. ومفردة العبراني تأتي مــن مادة «عَ بَ رَ» أي عبــور النهر، على إعتبــار أن النبي ابراهيمعليه السلام عبر «نهر الفرات» ووصل إلى «كنعان»، ولذلك لقبوه بهذا اللقب.

ويذهب البعض أيضا إلى الإعتقاد بان العبراني منســوب إلى عابر، وهو جدّ النبي ابراهيمعليه السلام.[٢]

إن بني‌اســرائيل أبناء وقوم اسرائيل، هم أقدم وأهم قوم في تاريخ حياة البشرية، بل المعتقدات الدينية للبشرية.

إن بداية تاريخ بني‌اســرائيل تعود إلى حياة جدهم الأعلى النبي ابراهيم خليل الرحمنعليه السلام. وتفيد التقارير التاريخية، ان «أور» الكلدانية كانت مســقط رأســه، وبعد هجرة قومه إلى «حرّان» ومن ثم «فلســطين» أقام هناك. وقد ســكن أبنائه وأحفاده **اسحاق** و**يعقوب**عليهما السلام في كنعان أيضا. وحصلت هذه الأحداث في حوالي

١. **ألبر مالة**، «تاريخ أمم الشرق واليونان»، ترجمة: عبد الحسين هجير، مكتبة ابن سينا، ١٣٣٢، ص ٩٣.
٢. **توفيقي، حســين**، «التعرف على الأديان الكبرى»، طهران، مؤسســة دراســة وتاليف كتب العلوم الانســانية، ١٣٧٩، ص ٧٢.

الأعوام ١٨٠٠-٢٠٠٠ قبل الميلاد.[١]

ويعتبر **هوكس** مترجم ومؤلف «قاموس الكتاب المقدس» أن مفردة العبرانيين مشتقة من عابر، بمعنى الشخص الذي يعبر النهر.[٢]

وكان النبي ابراهيم من ذرية ونسل **سام إبن النبي نوح**عليه السلام، وأبصر النور في مدينة «اور»[٣] بحوالي عام ١٩٠٠ قبل الميلاد، وقد انتقل من أور إلى «حران» وعاد من هناك إلى كنعان.

وتمثلت شريعة النبي ابراهيمعليه السلام في الدين الحنيف.

والحنيف مشتقة من مادة حنف، وتعني المائل من شرّ إلى خير والعائد إلى الطريق القويم.

والحنف هو الميل عن الضلال إلى الإستقامة.[٤]

ويقول الله تعالى في سورة «آل عمران» حول النبي ابراهيمعليه السلام:

«مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»[٥]

والحنيف المسلم. وكان في الجاهلية يقال لمن اختتن وحج البيت حنيف لأن العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من دين إبراهيم غير الختان وحج البيت ، فكل من اختتن وحج قيل له حنيف.[٦]

وقيل: كل من أسلم لأمر الله تعالى ولم يلتو ، فهو حنيف.[٧]

ومن كان على دين **إبراهيم**عليه السلام، فهو حنيف عند العرب، وكان عبدة الأوثان في الجاهلية يقولون: نحن حنفاء على دين إبراهيمعليه السلام، فلما جاء الإسلام سموا

---

١. «موسوعة العالم الاسلامي»، ج ٤، ١٣٩٣، نقلا عن «جودائيكا»، ج ٨، ذيل History، العمود ٥٧٣.
٢. «قاموس الكتاب المقدس»، ص ٥٩٣.
3. Ur
٤. **جواد علي**، «المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام»، ج ٦، ص ٤٥.
٥. سورة آل عمران، الآية ٦٧.
٦. «لسان العرب»، ج ٩، ص ٥٧.
٧. كتاب «العين»، ج ٣، ص ٢٤٨.

المسلم حنيفا، وكان في الجاهلية يقال من اختتن وحج البيت حنيف لأن العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من دين إبراهيم غير الختان وحج البيت، فكل من اختتن وحج قيل له حنيف.[١]

وقد وردت مفردتا «حنيف» و «حنفاء» مرارا في «القرآن الكريم». فقد وردت حنيف عشر مرات وحنفاء مرتين. والرجوع إلى هذه الآيات يظهر أن كلمة الحنفاء تطلق على الأشخاص المؤمنين والطاهرين والداعين إلى الحق، الذين امتزج إيمانهم بالتوحيد والإبتعاد عن الشرك والأفكار الفاسدة.

«قُلْ صَدَقَ اللهُ فَاتّبِعُوا ملّةَ إبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»[٢]

وقد شدد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على أن ديني هو الدين الحنيف. وجاء في رواية:

«بُعِثَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ بالرُهبانية وبُعِثتُ بالحَنيفية السَمْحَة»[٣]

وقال الإمام الباقر عليه السلام في وصف الحنيفية:

«هِيَ الفِطْرَة التى فَطَرَ الناسَ عَلَيْها فَطَرَهُم عَلى مَعْرِفَة»[٤]

ويقول العلامة **الطباطبائي** رحمه الله في توضيح كلمة الحنيف:

إن الحنفاء مأخودة من مادة الحنف وتعنى الميل والإنحراف عن حالتى الإفراط والتفريط، نحو الإعتدال، لذلک فان الله تعالى اعتبر الإسلام حنيفا لجهة أنه يأمر الناس بالتمسک بالوسطية فى جميع الأمور والشؤون، والإمتناع عن الميل والإنحراف نحو الإفراط والتفريط.[٥]

---

١. «لسان العرب»، المصدر السابق.

٢. سورة آل عمران، الآية ٩٥.

٣. **الطوسي، محمد بن حسن**، «الأمالي»، قم، دار الثقافة، ص ٥٢٨.

٤. **البرقي، أحمد بن محمد بن خالد**، "المحاسن"، قم، دار الكتب الاسلامية، الطبعة الثانية، ١٣٧١، ج ١، ص ٢٤١.

٥. **الطباطبائي، سيد محمد حسين**، «تفسير الميزان»، ترجمة سيد محمد باقر موسوي همداني، قم، مكتب النشر الاسلامي، ١٣٧٤، ج ٢، ص ٥٧٥.

خارطة حركة النبي ابراهيم عليه السلام

وتقدم «التوراة» النبي **ابراهيم** عليه السلام على أنه أول وأهم شخصية في «قوم اسرائيل»، وهو أول نبي لليهود أقام إله الإسـرائيليين ارتباطا مباشـرا معـه، وابرم معه العهد والميثاق. بعبارة أخرى، فان وجود قوم اسرائيل، حصل منذ عهد النبي ابراهيم عليه السلام وبواسـطة الوعود التي قطعها له «يهوه» لإيجـاد قوم كثر. وفي عصر ابراهيم، لم يكن الإسرائيليون قد اكتسبوا هوية بعد، ولم يكن يطرح إسم اسرائيل، بل أن وعدا أطلقه يهوه لإيجادهم.

وقد نشـأ ابراهيم في مدينة «اور»، وهاجر برفقة أبيه «نزاخ» و أخيه «حرّان» و زوجته «سارائي» وإبن أخيه «لوط» من أور إلى حران.[1]

ووردت في القرآن، عبارة «بني‌اسـرائيل» بمعنى أبناء و «قوم اسرائيل» واحدة وأربعين مرة في الآيات المختلفة.

وذكرت المصادر الإسلامية، معان مختلفة لـ«بني‌اسرائيل»:

«الإنسـان الذي يحارب مع الله»، «مختار من الله»، «عبد الله»، «الانسان الذي ظفر على الله»، «جندي الله» و... .

وقد وردت مفردة «اسرائيل» للمرة الأولى في «العهد العتيق» إذ نودي يعقوب بعد انتصاره على ملاك الله في معركة اكتنفها الغموض، هكذا:

---

١. **اشتياني، جلال الدين**، «دراسة في الديانة اليهودية»، طهران، نكارش، ١٣٨٣، ص ١٠٢.

ولا يجب تسميتک ب يعقوب من الان فصاعدا، بل اسرائيل، لانک جاهدت الله والانسان وانتصرت.[١]

وتبرر التوراة، تشكيل قوم اسرائيل بطريقة بسيطة وعامية للغاية. فقد هاجرت أسرة كلدانية من «أور» إلى «حرّان» ومن ثم «كنعان»، وهناک يدخل شيخ قبيلة ومعه أبنائه الإثنى عشر إلى «مصر». وهؤلاء الأبناء الإثنا عشر، يؤلف كل منهم قبيلة فى تلک المنطقة المتحضرة، بحيث يزد عددهم بعد مدة عن أهالى مصر بالذات، وذات يوم يعود كلهم بشكل جماعى إلى كنعان ويتقاسمون هذه البلاد فيما بينهم!

ولتبرير ماهية «قوم اسرائيل» يجب البحث والدراسة على عدة مراحل. ويمكن تقسيم هذه المراحل من وجهة نظر التوراة (لا الرؤية التاريخية) كما يلى:

أ. مرحلة الهجرة الأولى والوصول إلى كنعان، عصر الشيوخ (باتريارش)؛

ب. مرحلة الوصول والمكوث فى مصر، عصر السكنى؛

ج. مرحلة الهجرة الثانية والخروج من مصر، عصر الخروج (اكسودوس)؛

د. مرحلة النفوذ فى كنعان والإستيلاء عليها، عصر النفوذ؛

هـ. مرحلة تشكيل المجتمع، عصر الحكم (شوفتيم)؛

و. مرحلة تشكيل الدولة، عصر السلاطين (ملكيم).

ونتطرق بداية إلى ماهية إسم اسرائيل والهوية التاريخية لهؤلاء القوم.

إن القوم الذين سموا فى التوراة «بنى‌اسرائيل»، كانوا قبائل صغيرة ومغمورة وخاملة الذكر، ولم يحظوا بموقع يذكر لا من الناحية التاريخية ولا الحضارية والثقافية، وإن لم يشكل دينهم قاعدة وأساس الديانتين العالميتين الكبريين أى المسيحية والإسلام، قلما شهدنا اليوم أحدا يهتم بتاريخهم.

---

١. **عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي**، «الدر المنثور في تفسير المأثور»، قم، ١٤٠٤هـ .ق.، ص ٦٣.

إن خمول ذكر هؤلاء القوم تسبب بغياب أى أثر وشواهد تاريخية على ماضيهم وتاريخهم، ولا يمكننا التعويل والإستناد إلى أى مصدر ماعدا الكتاب المقدس للديانة اليهودية. والمؤسف أن هذا الكتاب وللأسباب التى سنأتى على ذكرها، يفتقد إلى القيمة التاريخية، ولاكتشاف التاريخ الحقيقى لقوم اسرائيل، لابد لنا من الإفادة من العلامات والإشارات الواردة فى هذا الكتاب ومقارنتها بالأعمال والمصادر المتفرقة التى تم الحصول عليها فى بعض المواقع من خلال البحث عن الحضارات الاخرى، لإعادة بناء الخطوط العامة والعريضة، وبالتالى فانها ستكون مصحوبة بالتنبؤ والظن أكثر منها من الحقائق المعتمدة.[١]

وللأسباب المذكورة أعلاه، فان الباحثين المستقلين، يواجهون في دراستهم للتقلبات والصعود والهبوط التاريخي لهؤلاء القوم، تنبؤات وأحيانا تصرفات تتسم بالتعنت لمؤرخي «بني‌اسرائيل». وبما أن المؤلف بذل قصارى جهده في هذا الكتاب، لرسم مسار حركة «قبيلة اللعنة» على امتداد التاريخ، فانه يستند خلال دراسة المنعطفات التي مرت بها الحياة التاريخية لهؤلاء القوم، على الهجرة الأولى والوصول الى «كنعان».

وقد نشأ النبي **ابراهيم** عليه السلام المبعوث من الله تعالى، وترعرع في جبال «اور» [الواقعة في سومر]، وبعد بلوغه مرحلة النضج والبلوغ والتكامل العقلي، استنار قلبه بالإلهام الإلهي، وتعمق في آثار الباري تعالى، ليصل إلى مرحلة اليقين، وارتفع مقامه عند الله على اثر التضرع والسجود لله المتعال وفي ظل الإحسان والتقوى، لينال شرف لقب خليل الله.[٢]

وقد بادر النبي ابراهيم عليه السلام مذاك وباساليب مختلفة إلى دعوة الناس، وحارب بأنماط مختلفة عبادة الأوثان التي كانت سائدة في تلك الحقبة.

---

١. **اشتياني، جلال الدين**، المصدر السابق، ص ٩٨.

٢. **علي شاهمرادي، علي**، «تاريخ اليهود»، طهران، نيكان كتاب، ١٣٨٤، ص ١٤؛ نقلا عن سورة النساء، الآية ١٢٥ والكتاب الثاني لتواريخ الأيام ضمن مجموعة كتب «العهد العتيق»، الفصل ٢٠، الآية ٧، كتاب أشعياء.

إن واقعة تحطيم الأوثان في اليوم الذي كان سكان المدينة قد أخلوها، وكسر شـــوكة ومزاعم نمرود بالربوبية، بعد محاجة **ابراهيم**عليه السلام والتي أســـفرت عن صدور حكـــم برميه في النار، بينمـــا تحولت النار باذن الله تعالى إلى برد وســـلام على ابراهيم عليه السلام.

«قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ»[١]

وبعد سنوات من المجاهدة في بابل، قرر بطل التوحيد وباصرار من النمروديين، الهجرة وقصد أرض نمرود لإبلاغ رسالة الله.

وورد في جانب من الرواية التي نقلها الكرخي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«... نمرود، فامرهم أن يخلوا ســـبيله وســـبيل ماشيته وماله وأن يخرجوه وقال إنه إن بقى فى بلادكم أفسد دينكم... .»[٢]

وقد وصل ابراهيم عليه السلام إلى الشامات عن طريق حران، وانطلق من هناك بإتجاه منطقة فلسطين.[٣]

---

١. سورة الأنبياء، الآيتان ٦٩ و ٧٠.

٢. **الكليني، محمد بن يعقوب**، «الكافي»، طهران، إســـلامية، ج ٨، ص ٣٧٠؛ **البحراني، هاشـــم بن ســـليمان**، «تفسير البرهان»، ج ٤، ص ٢٧.

٣. **طباطبائي، محمد حسين**، «الميزان في تفسير القرآن»، ج ٧، ص ٢٤١.

خارطة حركة النبي ابراهيم عليه السلام

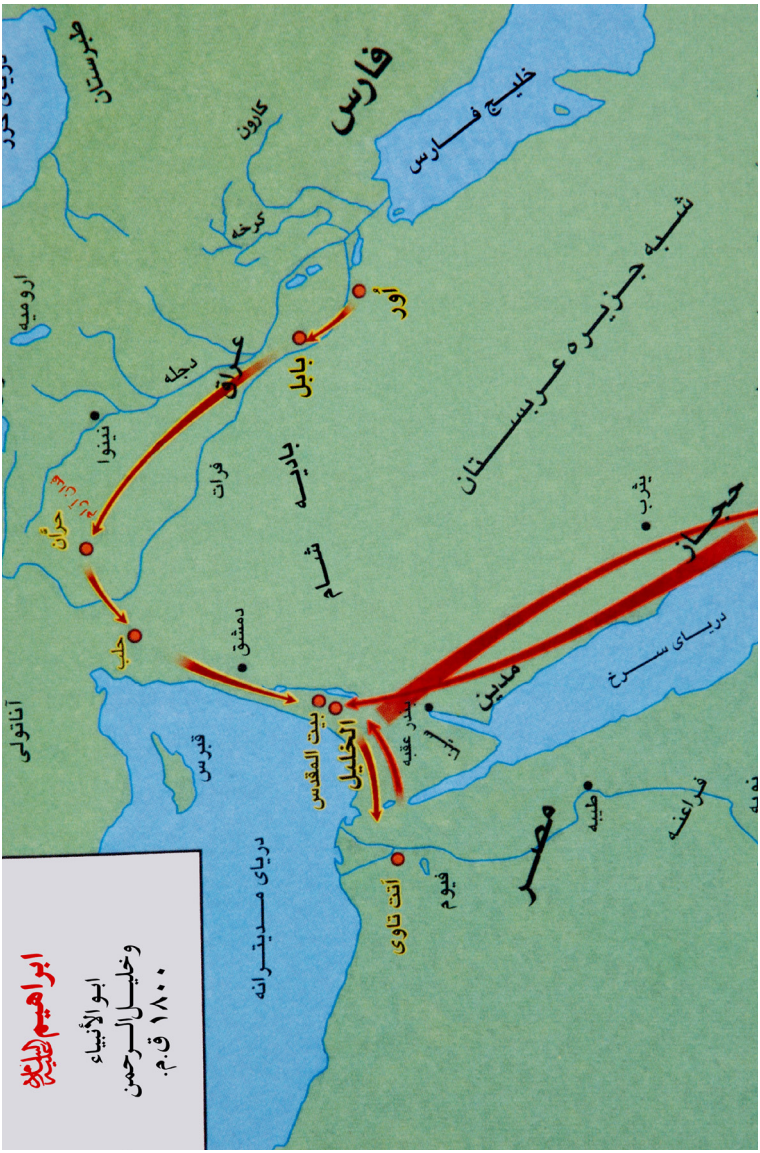

وتقول «التوراة» بهذا الخصوص:

لقد غادر النبى ابراهيم(ع) وبامر من الله تعالى عندما كان فى الخامسة والسبعين من العمر، مدينة حران متوجها إلى «كنعان». وقد اصطحب معه زوجته سارة وابن أخيه لوط(ع) وعدة أشخاص اخرين، وقصدوا جميعهم «كنعان» ونصبوا هناك خيمة على جبل بشرق بيت ايل. وبعد فترة، أقام النبى ابراهيم(ع) فى «حبرون» (الخليل) ومكث هناك حتى آخر عمره.[١]

وتحولت كنعان إلى موطن لمهاجري حران وبابل، وخرجت من عزلتها منذ هذه الفترة وإلى الأبد، وفسح المجال أمامها للإنخراط في التاريخ وحتى الأدبيات.

ونصادف في الحضارات القديمة، اسمين معروفين، أحدهما «فينيقية» والاخر «كنعان». وبالرغم من أن هذين الاسمين كانا يطلقان على شعب أرض واحدة، لكنهما نسبا إلى ناحيتين من حيث التقسيمات الجغرافية... ففي اليونانية تعني مفردة «فينيكس» اللون الأرجواني، وأما «فينيقية» (فنيسين) كانت تطلق على منطقة في الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط وتشمل موانئ «تيروس»، «صيدون»، «برتيوس» (بيروت)، «بيبلوس» (الجبل)، «آكو»، «اشيب تريبولي»، «أوغاريت» (لبنان الحالية تقريبا).

وقد وصفوا أهالي هذه المنطقة باصحاب البشرة الحمراء، ويرى البعض أن اسم الفينيقي أختير لهذا السبب، لكن البعض الاخر يذهب إلى الاعتقاد بان اسم الأرجواني أخذ من الشيلان المعروفة ل أرجوان والتي كانت تصنع في هذه المنطقة، واشتهرت كثيرا في الأدب القديم. وكنعان تعني هي الأخرى الأرجواني.[٢]

وسريعا تشعب غصنان كبيران من شجرة النبي **ابراهيم**(ع). سلالتان كبيرتان للنبوة، إحداهما قصيرة والاخرى طويلة. وانقسم ميراث النبي ابراهيم(ع) إلى فرعين، أحدهما قصير باسم النبي **اسحاق**(ع) والاخر طويل باسم نجله الاخر،

١. **توفيقي، حسين**، «التعرف على الأديان الكبرى»، المصدر السابق، ص ٧٣.
٢. **اشتياني، جلال الدين**، المصدر السابق، ص ٨٩.

النبي **اسماعيل**(ع).

وحســـب التوراة، فقد وعد الله تعالى، النبي **ابراهيم**(ع) مرارا بان تكون له ذرية واسعة. وولدت جاريته هاجر ولدا سُمي اسماعيل (أي أن الله يصغي). وبعد أربعة عشرة سنة، ولدت سارة إبنا، سُمي اسحاق (أي يضحك).[١]

وتوفّى النبي ابراهيم(ع) في مدينة «الخليل» بـ«فلسطين».[٢]

وامتـــد الغصن القصيـــر لنبوة النبي ابراهيم(ع) (بني اســـرائيل) عن طريق النبي اســـحاق(ع). وأصبح هذا النبي الجليل صاحب ابنين، أولهما ســـمي عيســـو. وهذه الكلمة تعني في اللغة، صاحب الشـــعر الكث. وحسب «التوراة» فان هذه الطفل، كان يملك شعرا كثا عندما أبصر النور. وسمي التوأم الاخر، يعقوب (أي المتتبع)، لانه كان يتعقب الطفل السابق أثناء الولادة، وجاء بعده إلى الدنيا.[٣]

وورث **يعقوب**(ع)، النبوة من أبيه (اســـحاق)، وكان صاحب اثني عشـــر ابنا. وكما ذكرنا، فان الإســـم الاخر ليعقوب هو اســـرائيل. وفسرت التوراة يعقوب بانه المصارع والشخص الذي تغلب على الله[٤] لكن الحقيقة هي أن اسرائيل تعني في السريانية والعبرانية، عبد الله.[٥]

ويقول الاســـتاذ **جلال الدين اشـــتياني** في معرض شـــرحه للتحريـــف الوارد في «التوراة» حول اسم اسرائيل، مستندا إلى المصادر التوراتية:

عندما كان يعقوب واقفا بمفرده، بدأ رجل يصارعه، إلى أن ظهرت حمرة الشـــفق فى الأفق. وعندما رأى ذلک الرجل أنه لا يستطيع التغلب عليه، رفسه برفسه على كفله. فانتزع مفصل فخذ يعقوب. وعندما كان يصارعه قال الرجل: أتركنى وشـــأنى، فقد بزغ الفجـــر. [فقال يعقوب] لا أترکک

---

١. المصدر السابق، ص ٧٥؛ نقلا عن «سفر التكوين»، التوراة، ١٧ :١٨-٢١

٢. «تاريخ اليعقوبي»، ج ١، ص ٢٨.

٣. **توفيقي، حسين**، المصدر السابق، ص ٧٥.

٤. «العهـــد العتيـــق»، التكوين، الباب ٢٨، رقم ٢٨: وقد صارع يعقوب، اللـــه ليلا، وخرج مرفوع الرأس في هذا السباق، وأخذ اسم اسرائيل كهدية من الله، أي الشخص الذي انتصر على الله.

٥. **المجلســـي، محمد باقر**، «بحار الأنوار»، ج ١٢، ص ٢١٨؛ **علي بن ابراهيم القمي**، «تفسير القمي»، ج ١، ص ٣٣٩.

إلى أن تقدسنى وتترحم على. فسأله ما اسمک؟ فقال: يعقوب. فقال الرجل: لن يسمونک بعد الان «يعقوب» بل «ييسرائيل المصارع لله» لانک حاربت الله والانسان وانتصرت... لذلک فقد ترحم عليه، وأطلق يعقوب على ذلک المكان إسم بنوال[1] **(وجه الله) وقال: لقد شاهدت الله وجها لوجه وبقيت حيا. وشرقت عليه الشمس، فيما غادر هو بنوال وهو يعرج. ولهذا السبب فان الاسرائيليين لا يأكلون لحد هذا اليوم عضلة الفخذ.**[2]

وكان للنبي يعقوب اثنا عشر ابنا، أعتبروا الأسباط الاثني عشر. ويعد النبي **يوسف**عليه السلام واحد من هؤلاء الاسباط. وأسماء هذه الأسباط هي:

- رئوبين (راوبين) Reuben؛
- شمعون (سيمئون) Simeon؛
- لاوي (لوي) Levi؛
- يهوذا (جودا) Yehuda, Judah؛
- يساكر (يشحر، يساخر) Issachar؛
- زبولون (زبلون، زيالون) Zebulun؛
- دان (دو) Dan؛
- نفتالي (نفتائيل) Naphtali؛
- جاد Gad؛
- اشير (اشر، اسر) Asher؛
- بنيامين (إبن يامين، بنجامين) Benjamin؛
- يوسف Joseph. (وتشكلت منه قبيلتان، هي منسة (منسي) Menassen وافرايم (أفرائيم) Ephraim.[3]

1. Penual.

٢. **اشتياني، جلال الدين**، «دراسة في الديانة اليهودية»، المصدر السابق، ص ١٠٠.

٣. **شهبازي، عبد الله**، «مكتنزو الذهب من اليهود والفرس»، ج ١، ص ٣٠٦.

أبناء ابراهيم عليه السلام

كان للنبي **ابراهيم** عليه السلام ثلاث عشر إبنا من أربع زوجات (**سارة وهاجر وقطورا وحجور**).

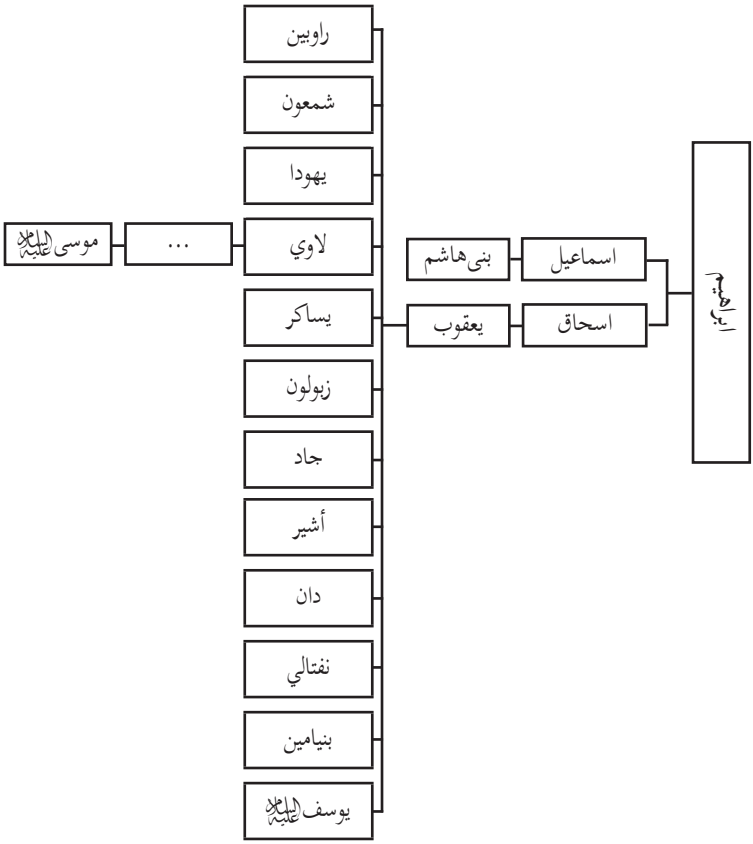

وقد وردت كلمة الاسباط في القرآن الكريم في عدة آيات. ويقول العلامة **طباطبائي** في تفسير «الآية ١٣٦ من سورة البقرة»:

ومن بين ذرية النبى اسماعيل عليه السلام، يطلق على مجموعة من الأفراد الذين يصلون إلى أب وأم واحدين، إسم القبيلة، ويطلق على جميع المجموعات إسم القبائل، لكن فيما يخص بنى‌اسرائيل، لا تستخدم كلمة القبيلة والقبائل، بل تستخدم بدلا عنها مفردة السبط وكذلك مفردة الأسباط بدلا عن القبائل. وكان لبنى‌اسرائيل أثنا عشر سبطا. وكان يوحى من قبل الله تعالى إلى هذه الأسباط الإثنتى عشر، وإن كان المقصود من هذه الاسباط هو القبائل، فان معنى الوحى عليهم هو أن نبيا كان لدى كل سبط، ومن المرجح أن المقصود من الاسباط، هو إثنى عشر شخصا من بنى‌اسرائيل، كان يوحى إليهم.

ويقول مؤلف «قاموس القرآن»:

بتقديرى، فان المقصود من الأسباط، هم الأشخاص لا القبائل. (قاموس القرآن، مادة السبط).

لذلك يمكن القول أن الأسباط، هم إثنا عشر نبيا لبنى‌اسرائيل. ومن بين الأسباط الإثنتى عشر لبنى‌اسرائيل، فان اللاويين، كانوا يحظون بمقام رجال الدين فى بنى‌اسرائيل.[١]

ووفقا لما ورد في المصادر المختلفة ويعرفه عامة القراء الكرام، فان حسد أخوة **يوسف** عليه السلام والمشيئة الالهية، جعل من يوسف يرمى في البئر، وبعده يكون في أرض مصر، ليتقرر فصل جديد من حياة أبناء **يعقوب** عليه السلام في هذه البلاد، ويتم التمهيد للمرة الاولى وبعد سنوات من التشرد، لتوطين وسلطنة بني‌اسرائيل في بلاد مصر الكبيرة وذائعة الصيت.

وقد قامت المشيئة الالهية على أن يتحرر يوسف عليه السلام من الرق ويصل إلى

١. «تفسير الميزان»، ج ١، ص ٣١٢، تفسير الآية ١٣٦ من سورة البقرة.

منصب الوزارة في بلاط فرعون.

وشـــهدت «مصر» في عهـــد وزارة **يوســـف**(عليه السلام) بوصفه عزيـــز مصر وحكم «الهيكســـوس» على الساميين لاسيما «بني‌اسرائيل» الذين هاجروا من «كنعان» إلـــى «مصر»، عصرا جيدا. إن مقام ومنصب يوســـف(عليه السلام) واعتناق فرعون مصر والكثير من أهالي مصر، للتوحيد جلب العزة والإحترام لبني‌اسرائيل.

وقد جاء في المصادر الروائية الاســـلامية، عن الإســـتقرار والسكن في مصر، ورحيل النبي يوسف(عليه السلام) وتعرض بني‌اسرائيل لظلم وعسف المصريين:

إن النبي **يعقوب**(عليه السلام) جمع في آخر لحظات عمره، بني‌اسرائيل:

«أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَکَ وَإِلَهَ آبَائِکَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْـــمَاعِيلَ وَإِسْـــحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»[1]

وكان قلق يعقوب ناجما عن أن بنى‌اســـرائيل قد يضلون فى ذلک الحكم. وعندما فارق يعقوب(عليه السلام) الحياة، نقله يوســـف(عليه السلام) إلى منطقة «الشـــام» وواراه الثرى بجانب قبر خليل الرحمن.[2]

وعندما دخل بنو اسرائيل، مصر، كانوا في أقلية، لكن وبما أنهم كانوا يعتبرون بفضل يوســـف(عليه السلام) من أســـرة الحكم، أتجهوا بطبيعة الحال نحو زيادة النسل، ليخرجـــوا من وضعية الأقلية. وقد جمع يوســـف في أواخر عمـــره، الجميع وبعد حمده وثنائه على الله، حذرهم من الصعوبات التي سيواجهونها وقال: إن الرجال سيقتلون، وتمزق بطون النساء الحوامل، ويذبح الأطفال. إلى أن يظهر الله، الحق علـــى يد ثائر من أبناء لاوي بن يعقوب. إنه رجل حنطي البشـــرة وطويل القامة، واسترسل في شرح صفاته.

وتوفى يوسف(عليه السلام)،[3] وطرأت غيبة عصيبة على بني‌اسرائيل الذين بقوا أربعمائة

---

١. سورة البقرة، الآية ١٣٣.

٢. **إبن بابويه، محمد بن علي**، «كمال الدين وتمام النعمة»، ج ١، ص ٢١٩.

٣. إن **يوســـف**(عليه السلام) كان قد حظي بشـــعبية جماهيرية وعزة هائلة لدى أهل مصر، لدرجة انه حصل نزاع بعد وفاته

عام في إنتظار منقذهم.[١]

بشأن مكان دفنه. فكل طائفة كانت تريد أن يدفن عندها، ليتحول قبره إلى مصدر للخير والبركة في حياتهم. وفي الختام استقر الرأي على أن يدفن جثمان يوسف في نهر النيل، لان ماء النهر كان يمر من فوق القبر، وبالتالي كان ينال جميع الناس الخير والبركة بفضل الوجود الطاهر للنبي **يوسف**عليه السلام.

وبقي **جثمان يوسف**عليه السلام في وسط نهر النيل إلى أن عزم النبي موسى عليه السلام الخروج من مصر بصحبة بني اسرائيل. وفي هذا الوقت، أخرجوا الجثمان من القبر ونقلوه إلى «فلسطين»، ودفنوه هناك إنفاذا لوصية النبي يوسف عليه السلام. وقد خاطب الله تعالى نبيه الأكرم:

«ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ»

... وقد استخرج موسى عليه السلام جثمان يوسف عليه السلام الذي كان في تابوت من الرخام، من وسط نهر النيل ونقله إلى الشام. لذلك فان أهل الكتاب ينقلون موتاهم إلى الشام ويدفنوهم هناك. (**إبن بابويه، محمد بن علي**، «علل الشرائع»، ص ١٠٧؛ «بحار الأنوار»، ج ١٣، ص ١٢٧. وقد دفنوا جثمان يوسف (حسب القول المشهور) بجانب قبر أبيه. ويوجد قبر يوسف اليوم على بعد ستة فراسخ من «القدس» وفي موقع يدعى «قدس الخليل».

١. راجع «كمال الدين وتمام النعمة»، ترجمة بهلوان، قم، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٣٨٠، ج ١، صص ٢٨٨-٣٠٣؛ باب غيبة موسى عليه السلام؛ «بحار الأنوار»، ج ١٣، ص ٣٨، «العهد العتيق»، التكوين، الباب ٥٠، رقم ٢٥٥.

بنو اسرائيل والمنقذ موسى عليه السلام

وبعد وفاة النبي **يوسف** عليه السلام، وانقضاء فترة وزارته، استمر وضع بني‌اسرائيل على هذا المنوال لفترة طويلة، لكن مافتئ الحال والوضع أن تغيرا وانقلبا سريعا. فقد انتفض شعب مصر خلال الفترة ١٥٦٠-١٥٨٠ قبل الميلاد، وأطاحوا بحكم «الهيكسوس» وأسسوا سلطنة وحكومة كبيرة غطت حتى المناطق الشرقية للبحر الأبيض المتوسط.

وخلال هذه السنوات، حيث ازداد بنو اسرائيل عددا على اثر التناسل والتوالد، وتحولوا إلى مجتمع كبير في مصر، كانوا يتنعمون براحة ابال والإستقرار إلى أن وصل الدور إلى أحد فراعنة مصر ويدعى **رعمسيس** أو **رامسيس** (رامسس الثاني).

وكان هذا الفرعون يعرف بجنون العظمة وهوسه وتقلب مزاجه وظلمه، وجنوحه العارم للمال والثروة، وزيادة سلطته وثروته، وبذل قصارى جهده لاستغلال الرقيق والعبيد ليزيد من عظمة قصوره وهيبة ملكه، ولهذا السبب مارس ضغطا على بني‌اسرائيل وسخرهم من أجل مآربه.

وعمل رامسيس من خلال إذكاء القومية وشق صفوف المصريين وبث الخلاف بينهم وبين الاسرائيليين المهاجرين، على إسقاط العبرانيين من أعين المصريين وجندهم جملة عبيدا له.

ويقول **ايزيدور ابستاين**، المؤرخ ومؤلف كتاب «اليهودية ودراسة تاريخية» في

هذا الخصوص:

لقد كان ليعقوب اثنا عشر إبنا، أصبحوا لاحقا أجداد الأسباط الاثنتى عشر وكونوا بعد مدة قوم «بنىاسرائيل». ودخل قدر أمة ابراهيم فى ظل يوسف أحد أبناء يعقوب الأصغر، مرحلة جديدة فى التاريخ. وبعد سلسلة من الحوادث والتقلبات والظروف المستجدة، وصل يوسف من العبودية والأسر إلى منصب ومقام الوزارة فى مصر. فى حين كانت مصر تخضع لحكم الهيكسوس (الحكام الأجانب) الذين حكموا تلك الديار منذ عام ١٧٣٠ قبل الميلاد. وهؤلاء الذين كانوا من العرق السامى والشمال الغربى، كانوا يشبهون العبرانيين بالكامل، ما مهد ذلك لشخص عبرانى مثل يوسف لتولى السلطة والحكم فى بلاط مصر. وقد أنضمت أسرته إليه (يوسف عليه السلام) لاحقا فى كنعان بسبب الجفاف والمجاعة، وأقامو فى منطقة «جوشن» بالقرب من «أواريس» (ولاحقا تانيس) عاصمة الهيكسوس. إن دحر المهاجمين الهيكسوس على يد أحمس بحوالى العام ١٥٨٠ قبل الميلاد، لم يحمل خيرا للعبرانيين الذين كان يشتبه بإنتمائهم وموالاتهم لهيكسوس بسبب القرابة العرقية، وبعد فترة، تحول قوم الحاكم السابق (أى يوسف) الذين ازداد عددهم خلال هذه الفترة، إلى عبيد ورقيق، وأصبحت ظروف حياتهم غير انسانية ومذلة على مرّ الزمن.

وأسوا حقبة من العذاب والقمع والإضطهاد، بدأت فى عهد الفاتح الكبير، تحومس الثالث (١٤٨٥-١٤٥٠ ق. م) والذى وسع امبراطوريته إلى المناطق الشمالية من نهر «الفرات» على اثر سلسلة من العمليات العسكرية والفتوحات اللامعة، وكان من مواصفات حكمه، العمليات القسرية والتعسفية لبناء المساكن والمنازل. إن تمرد الحكومات التى كانت تخضع لسلطة الساميين، والذى وقع بعد وفاته وانتشر فى أرجاء سورية وفلسطين، دفع إبنه الذى حل محله آمنحوتب الثانى أو آمنوفيس

(١٤٥٠-١٤٢١ ق.م) لاتخاذ أبشع واقسى الإجراءات ضد الرقيق، الرقيق الذيــن كان للذين يقمعونهم، أدلة عديدة الان وأكثر من أى وقت مضى، للتخــوف منهم، ويبدو أنهم لم يكونــوا بعيدين فى هذه الحقبة عن حافة هاوية الفناء والزوال.[١]

وفي هكذا ظــروف، كان خياران أمام بني‌اســرائيل للتخلص من هذا الوضع المــزري، فإما أن يتحملوا الكارثة والعذاب ويكونــوا بانتظار نهضة في المجتمع المصري، أو أن يترحم ويشــفق عليهم الله المتعــال ويبعث لهم منقذا. وجاء في مستهل «سفر خروج التوراة:

لقد عاش الأبناء الإثنا عشــر **ليعقوب النبي** عليه السلام في مصر حياة رغيدة وانتشرت ذريتهم في تلك البلاد، واستمر مكوثهم في مصر أربعمائة وثلاثين عاما.[٢]

لكن وفي ذروة جزع وفزع بني‌اسرائيل، أشفق عليهم الله سبحانه وتعالى.

وفي هذه اللحظة الحساســة من تاريخ أبناء اســرائيل، تجســد البطل المنقذ للقوم في شخص **موسى** عليه السلام. وموسى عليه السلام الذي كان إبنا بالتبني لإحدى أميرات «مصر» وهي **حتشبسوت**، شقيقة **تحوتمس الثالث**، نشأ وترعرع في البلاط الملكي وبقــي بذلك في مأمن من الرق والعبودية، لكن حظه واقباله الوافر، لم يجعله غير مكترث بالوضع المزري لأقاربه. بل على العكس، فقد تسبب هذا الامر بان يبدي مزيدا من التعاطف معهم إزاء مصائبهم وتعاســتهم وشــجعه على الذود عنهم في مقابل ظلم وعســف الأسياد. وبعد فترة، اضطر موســى، للهرب من هذه البلاد متجها نحو مراعي «مدين» التي عمل فيها راعيا للغنم.[٣]

وبعد إقامته في مدين لثماني أو عشــر ســنوات، وزواجــه من إحدى بنات

---

١. **إيزيدور، إبستاين**، «اليهودية ودراسة تاريخية»، ترجمة **بهزاد سالكي**، طهران، مؤسسة الحكمة والفلسفة الايرانية للبحوث، الطبعة الأولى، ١٣٨٥، صص ٨-١١.

٢. «العهد العتيق»، سفر الخروج، ١٢/٤٠.

٣. **إيزيدور، ابساين**، «اليهودية ودراسة تاريخية»، ترجمة **بهزاد سالكي**، طهران، مؤسسة الحكمة والفلسفة الايرانية للبحوث، ١٣٨٥، الطبعة الأولى، ص ٨.

شعيب النبيعليه السلام، قصد النبي **موسى**عليه السلام «مصر». وفي مسار العودة، أضل الطريق، بينما كانت زوجته تمر بمخاض عسير،[١] فشاهد نورا من بعيد وقال: **إبقوا هنا. سأذهب لآتى بمساعدة أو أجلب شعلة نار لتدفئتكم.**[٢] وفي هذه الأثناء شاهد موسى، شجرة خضراء يانعة، كانت تتصاعد منها نار ملتهبة في فصل الشتاء وتحت المطر.

«فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي»[٣]

فقد كلف الله تعالى، موسى عليه السلام بمهمة جسيمة، وأمره أن:

«اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى»[٤]

وذات يوم عندما كان [موسى عليه السلام] يذهب بخرافه إلى «صحراء سيناء» للرعي، وصل إلى تلة «حوريب»، وهناك سمع نداء الله من بين منظرة رائعة للأيكة الملتهبة التي لم تكن تحترق رغم إشتعالها، حيث أمره أن يعود إلى مصر لإنقاذ أخوته من الأسر، ويقودهم نحو الأرض الموعودة.

وفي هذه الدعوة الإلهية الأولى لموسى عليه السلام، جاء الله على ذكر نفسه بـ«إله الآباء، وإله ابراهيم واسحاق ويعقوب»، لكن موسى عليه السلام لم يرتض وتمنى لو أن الله ذكر له إسما يكون بمقدروه إبلاغه لقومه الأسرى والمضطهدين بثقة من أنه ربهم وإلههم. وجاء الجواب «أكون حيث أكون»[٥] وكان هذا وجه من الإسم الإلهي «يهوه» (إنه نفسه بنفسه). وعندما إستخدمه الله لنفسه كان يشتمل على تصور الرب، لانه حاضر دائما بجانب أمته كالأب الذي يقف بجانب أولاده من

١. المصدر السابق، ص ١٤٠؛ «تفسير البرهان»، ج ٤، ص ٢١٧.
٢. «تفسير البرهان»، المصدر السابق، ص ٢١٧؛ «نور الثقلين»، ج ٤، ص ١٢٦.
٣. سورة طه، الآيات ١١-١٤.
٤. المصدر السابق، الآية ٢٤.
٥. سفر الخروج، الباب ٣، الآية ١٤.

خلال جميع الأحداث الماضية والحاضرة والمستقبلية.[١]

وتوجه النبي **موسى** عليه السلام بايات وإرهاصات كثيرة نحو فرعون وبني اسرائيل، واصطحب معه أخيه **هارون** عليه السلام باذن الله ودعا فرعون إلى الله الواحد الاحد ببينات ومعاجز كثيرة. إن أحد أكبر العقبات التي كانت تعترض النبي موسى عليه السلام هي إنزلاق بلاط فرعون والكهنة وأولئك الذين كانوا يعملون على تثبيت وترسيخ دعائم سلطة فرعون، في براثن السحر والشعوذة.

وفي مستهل الأمر، إتهم فرعون، النبي موسى عليه السلام بالسحر وقال لكبار قومه الذين كانوا بجانبه:

«قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ»[٢]

ولذلك قال متوجها إلى موسى عليه السلام:

«فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى»[٣]

وقد أعلن النبي موسى عليه السلام من دون أي وجل وخوف، استعداده للمواجهة. وتحدد موعد اللقاء وحضر فرعون ومعه أتباعه المحتالين والسحرة الماهرين.

«فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى»[٤]

وقد أتم نبي الله حسبما تمليه عليه مهمته الإلهية، الحجة بداية ودعا الحاضرين إلى الله المتعال، وجعل جمعا يتأثرون، لكن السحرة قالوا متوجهين إليه:

«قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى»[٥]

---

١. «اليهودية ودراسة تاريخية»، المصدر السابق، صص ٨-١١.
٢. سورة الشعراء، الآيتان ٣٤ و ٣٥.
٣. سورة طه، الآية ٥٨.
٤. المصدر السابق، الآية ٦٠.
٥. المصدر السابق، الآيتان ٦٥ و ٦٦.

وكان مشهد السحر طبيعيا لدرجة أن النبي **موسى**عليه السلام خاف حتى، لكن النداء السماوي وصل:

«قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى»[١]

فخر السحرة ساجدين. فقد وجدوا أن ما يفعله النبي موسى عليه السلام يختلف أساسا عن سحر السحرة. وانفضح فرعون واتهم سحرته من منطلق العجز بالتواطؤ مع موسى عليه السلام واعتبر الحادث مدبرا.

«قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى»[٢]

ومن هنا فصاعدا قرر النبي موسى عليه السلام دعوة بني‌اسرائيل وتنظيمهم، لتتاح في فرصة ملائمة، إمكانية هجرة بني‌اسرائيل الكبرى من مصر إلى «الأرض المقدسة».

١. المصدر السابق، الآيتان ٦٨ و ٦٩.
٢. المصدر السابق، الآية ٧١.

خارطة حركة النبي موسى عليه السلام

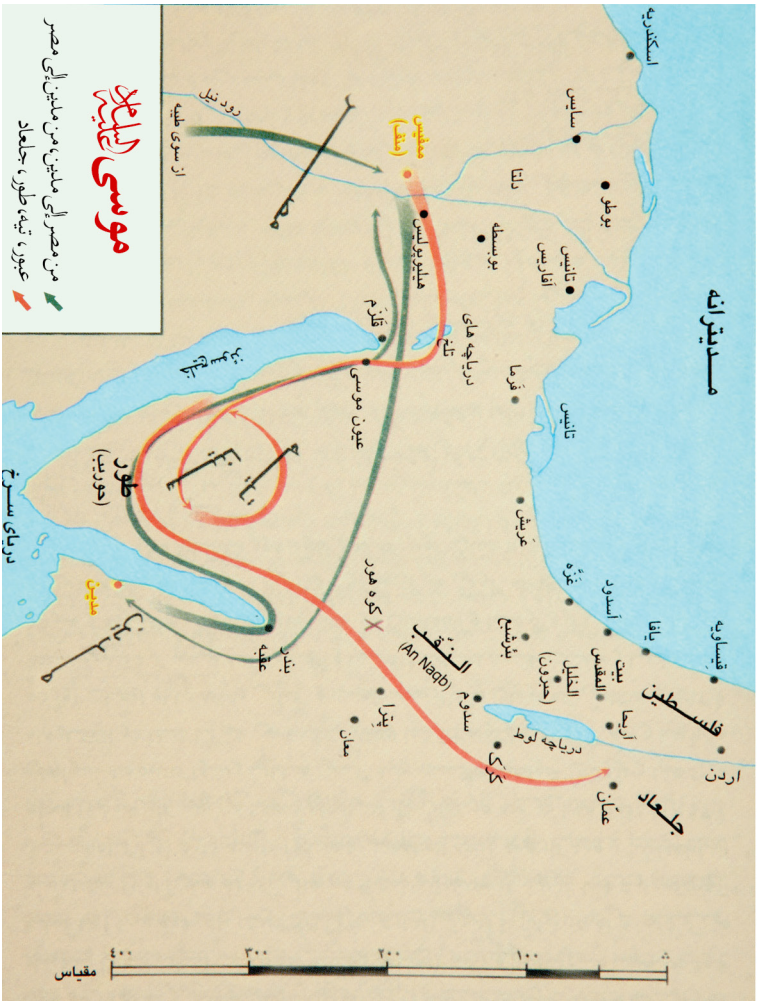

هجرة التاريخ الكبرى

وحسب التوراة، فان فرعون استسلم في النهاية واستدعى النبي **موسى**عليه السلام و**هارون**عليه السلام ليلا، وابلغهما أن اذهبوا مع بنياسرائيل إلى حيث شئتم. لذلك رحلوا بإتجاه «البحر الأحمر» و شرق «مصر»[1] واقاموا مخيماتهم هناك. وبعد فترة، ندم فرعون وتتبعهم بجيشه. وشاهد قوم موسىعليه السلام من بعيد، أنصار فرعون وهم قادمون. وفي هذه الاثناء مدّ النبي موسىعليه السلام يده نحو البحر، فانشق البحر وجفّ واستطاع بنو اسرائيل عبوره بيسر وسهولة. وعندها وصل جيش فرعون، فأغرقهم النبي موسىعليه السلام بأمر من الله تعالى، وباشارة يد.

ويُستشف من القرآن الكريم والأحاديث الاسلامية أن بنياسرائيل خرجوا من مصر بأمر من الله، لا باستئذان من فرعون:

«**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ**»[2]

ويبين القرآن الكريم:[3]

فلما تراءى الجمعان [بنو اسرائيل والفرعونيون] قال أصحاب موسىعليه السلام:

لقد وقعنا فى قبضة أنصار فرعون ولا سبيل لنا للنجاة. فامامنا البحر

---

١. سفر الخروج، الفصل ١٤: الآيات ١-٣١.

٢. سورة الشعراء، الآية ٥٢.

٣. المصدر السابق، الآيات ٦١-٦٣، ومع الرجوع إلى مختارات «التفسير النموذجي»، ج ٣، صص ٢٧٤-٢٧٥.

وأمواجه العاتية، وخلفنا بحر من جيش مصاص للدماء ومدجج بالسلاح والمعدات، أناس غاضبون منا وناقمون علينا.

وتصف «التوراة» هذه الواقعة هكذا:

• قام بَرعُوه (فرعون) بتقريب الجيش. ورفع أبناء يسرائيل (إسرائيل) أعينهم (وشاهدوا) المصريين وهم يتتبعونهم. وانتاب أبناء يسرائيل (إسرائيل) الخوف واستنجدوا بالله.

• وقالوا لمُشه (موسى): ألا يوجد قبر فى مصر حتى نموت هنا فى هذه الصحراء؟ ما الذى فعلته بنا، حتى أخرجتنا من مصر؟

• وأليس هذا الكلام الذى قلناه لك فى مصر. تخل عنا حتى نصبح عبيدا للمصريين، لان العبودية للمصريين أفضل من الموت فى الصحراء بالنسبة لنا.

• وقال مُشه (موسى) لهؤلاء القوم: لا تخافوا، واصمدوا وصابروا وانظروا النجاة التى يكتبها الله لكم اليوم، لان المصريين الذين شاهدتموهم اليوم لن تشاهدونهم مرة أخرى وإلى الأبد.

• إن الله سيحارب عنكم، لذلك اسكتوا.

• وقال الله لمُشه (موسى): لماذا تصرخ إلى؟ قل لأبناء يسرائيل (إسرائيل) لكى يتحركوا.

• ودع عنك الغضب ومُدّ يدك للبحر وشقه لكى يصل أبناء يسرائيل (إسرائيل) من بين البحر إلى اليابسة والأرض.[١]

وكانت هذه الرسالة التى ابلغها موسى لأخوانه الأسرى أثناء العودة إلى مصر عام ١٤٤٨ ق.م. وقليلا بعد إعتلاء منحوتب الثالث العرش. وقد تعرف الناس سريعا على الرسالة وقبلوها كرسالة حقيقية وأصيلة، لان الله الذى كانوا على ثقة بانه يحميهم، سيغير مسار التاريخ، ولم يكن بالنسبة لهم إله غريب وغير معروف، بل «يهوه» الإله الذى عاهد شيوخ

١. «التوراة»، سفر الخروج، الفصل الرابع عشر، الآيات ١١-١٦.

القوم. لكن فرعون الحاكم، كان بحاجة إلى المزيد من الأدلة لكى يقتنع، وبعد سلسلة من التحولات الغيبية المتعلقة بالظواهر الطبيعية فى مصر والمعروفة بالطواعين العشرة، والتى قلصت من قسوته وعناده، توجهت القبائل العبرانية فى يوم ربيعى، بعام ١٤٤٧ ق.م. وفقا لحسابات الكتاب المقدّس[١] إلى «مصر» برفقة مجموعة مختلطة من الأسرى الاخرين والذين كانوا كثر فى بلاد الأسر.

وقد عبر **موسى**عليه السلام، بـ«بني اسرائيل» من مصر عن طريق «البحر الأحمر»[٢] ومن موقع بالقرب من قناة السويس وقادهم نحو «صحراء سيناء»، بينما غرق جيش **فرعون** الذين كانوا يتعقبونهم، جميعا في أعماق البحر. إن أثر هذه السلسلة من الحوادث على الحياة المعنوية لليهود، كان يفوق الوصف. إن هذه الحادثة جعلتهم يتحسسون خاصة إزاء المقدرات الإلهية، واستحدثت لديهم إيمانا أقوى من الماضي إزاء إله آبائهم الذي تدخل لانقاذهم من بلاد الأسر ومن ظلم اعدائهم. إن النشيد الذي كان يقرأه موسى عليه السلام وبنو اسرائيل، يوصلنا إلى صميم هذا الإيمان:

أنشد يهوه، لانه انتصر بجلال ومجد
ألقى بالحصان وراكبه فى البحر[٣]
من مثلك أيها الرب من بين الارباب
من مثلك أيها الجليل فى القدسية
إنک مهيب فى تسبيحک وصانع العجائب[٤]

---

١. وقد وردت تواريخ عديدة اخرى لزمن الخروج وتتراوح بين ١٥٨٤ ق.م. و ١٤٤ ق.م.، لكن تاريخ «الكتاب المقدس» وبتعديلات طفيفة، أصبح موضع قبول الباحثين المختلفين. أنظر:
L.caiger, Bible and Spade (Oxford University Press, 1935) Appendix I,pp.192-3.

٢. وهناك نظريات متنوعة بشأن مكان خروج بني اسرائيل وجميعها يستند إلى التوراة. وفي الروايات التقليدية، كان مكان الهروب «البحر الأحمر»، منطقة «جبل الحمام»، كما ذكر البركامة بان مكان الهروب كان البحر الأحمر. (البركامه، «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، ج ١، ص ٩٨).

٣. سفر الخروج، الباب ١٥، الآية ١.

٤. المصدر السابق، الآية ١١.

وفي خضم هذا السـمو الروحي ، وصل بنو اسـرائيل مع موسى إلى صحراء سـيناء، واطلعوا هناك على الغاية التي نجوا من أجلهـا وعلى طبيعة القدر الذي كان ينتظرهم.[١]

وفي هذه الظروف، مرّت لحظات عصيبة على بني‌اسرائيل، وربما تزعزع ايمان بعضهم في هذه اللحظات، لكن **موسى**عليه السلام كان هادئا وواثقا من أن الوعود الإلهية حول نجاة بني‌اسرائيل وفناء القوم المتمردين، ستتحقق، لذلك توجه مخاطبا بثقة وعزيمة إلى الحشود الخائفة من بني‌اسرائيل وقال:

«قَالَ كَلّا إِنّ مَعِيَ رَبّي سَيَهْدِينِ»[٢]

وفي هذه الأثناء ربما سـمع بعضهم، كلام موسى من دون أن يصدق، وفيما كانوا ينتظرون آخر لحظات حياتهم، صدر الأمر النهائي، ويقول القرآن الكريم:

«فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ»[٣]

وفعل موسى هذا وضرب بعصاه البحر؛

«فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ»[٤]

وقد بهت فرعون والفرعونيون من مشاهدة هذا المشهد، وهذه المعجزة الجلية والواضحـة، ومع ذلك لم ينزلوا من مركب الغـرور والعجرفة وواصلوا تتبع وتعقب موسى عليه السلام وبني‌اسرائيل، ومضوا نحو قدرهم النهائي.

وبذلك فقد دخل فرعون والفرعونيون جادة البحر. وتقول الآية الشريفة:

«وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ»[٥]

ونجـا بذلك بنو اسـرائيل من فرعون والفرعونيين واسـتقروا على طريق طويل يسيرون فيه نحو مصيرهم الذي قدر لهم.

---

١. «اليهودية ودراسة تاريخية»، المصدر السابق، صص ٨-١١.
٢. سورة الشعراء، الآية ٦٢.
٣. المصدر السابق، الآية ٦٣.
٤. المصدر السابق.
٥. المصدر السابق، الآيتان ٦٥ و ٦٦.

عجل السامري

وكان **السامري** شخص يعبد الأوثان يدعى **موسى بن ظفر** من بلاد «العراق»، وجاء إلى «مصر» في عهد نبوة النبي **موسى**عليه السلام وآمن به.[1] وكان السامري إبن خالة موسى عليه السلام وتلميذه.[2]

وقال المفسرون إن السامري قد رأى **جبرئيل** عليه السلام أثناء نزول الوحي على موسى عليه السلام. وكان أحد صفوة بني اسرائيل. وعندما كان جبرئيل عليه السلام يمتطي حصانا من الجنة أثناء غرق **فرعون** وجنوده، إلتقط السامري كمية من تراب تحت أقدام جبرئيل عليه السلام للتبرك به. ومن خصائص هذا التراب هي أنه كلما اقترب من شئ كانت الروح تنفخ فيه ويتحرك.[3]

وكان عجل السامري أو عجل **هارون**، مصنوع من الذهب، وقد صنعه السامري (برواية القرآن) أو هارون (برواية التوراة) عندما ذهب موسى عليه السلام إلى جبل «طور» ودعا بني اسرائيل لعبادته.[4]

إن طلب بني اسرائيل من النبي موسى عليه السلام للكتاب والشريعة، أدى إلى أن

---

١. **دهخدا، علي أكبر**، «معجم اللغة الفارسية».

٢. **خرمشاهي، بهاء الدين**، «موسوعة بحوث القرآن»، طهران، دوستان، ج ٢، ص ١١٨١.

٣. «تفسير الميزان»، ج ١٦، ص ٢١١؛ «بحار الأنوار»، ج ١٣، ص ١٩٨؛ إبن كثير، «قصص الأنبياء»، ج ٢، ص ١١٩.

٤. «قصص القرآن»، ص ١١٧؛ «موسوعة بحوث القرآن»، المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٨١.

يذهب النبي **موسى**عليه السلام إلى جبل طور لمدة ثلاثين يوما للعبادة. وقد نصّب موسى عليه السلام أخيه **هارون**عليه السلام نائبا عنه لدى القوم ليعيشوا بامره وتوجه هو إلى «طور سيناء». وبأمر من الله تعالى، إزداد وعد موسىعليه السلام من ثلاثين يوما إلى أربعين يوما.[1] وفي هذه الأثناء جمع **السامري**، بني‌اسرائيل وقال: **إن موسى قد غادركم مع سبعين شخصا وقد هلك كلهم. وأريد الان أن أظهر لكم إله موسى.**

والسامري منسوب إلى «سامر» أو «سامرة»، وهو في الوقت الحاضر، إسم موقع في «فلسطين»، ويبدو أنه إسم قوم أو طائفة كانت تعيش هناك في الماضي. ويذهب البعض إلى الإعتقاد بان الذين كانوا يسيرون على خطى السامري أو أبنائه، توجهوا لاحقا إلى منطقة «سامرة فلسطين» وأقاموا فيها، وبالتالي سميت تلك المنطقة أو الطائفة بسامرة في ضوء سكن أتباع السامري أو أبنائه فيها.

وكان السامري من أصحاب النبي موسىعليه السلام ويملك علما مذهلا ومتفوقا. وكان يحظى بالعلم الشهودي والتريض وضليع في العلوم الغريبة أيضا.

ولنتعرف على القضية أصلا بواسطة «القرآن الكريم».

ويتحدث الله تعالى في «سورة طه» في الآيات ٨٥ إلى ٩٩ باسهاب عن أداء السامري. وتوجه الله تعالى إلى النبي موسىعليه السلام بالقول:

«قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ»[2]

وكانت الظروف مهيأة لدى بعض افراد «بني‌اسرائيل» للعودة، وما تسبب بإخفاء هذه الرغبة، هو الأحداث التي حصلت لبني‌اسرائيل بشكل متتال منذ الخروج من مصر وحتى ذلك الحين. لذلك فان فتنة واختبارا خاصا، كان بوسعه أن يميط اللثام عن معدنهم. إن واقعة «سفر» النبي موسىعليه السلام إلى «طور»، مهدت الأرضية لإختبار كبير. وقد شمّر السامري عن ساعديه، وحسبما يقول القرآن الكريم:

---

١. «تفسير الميزان»، المصدر السابق.
٢. سورة طه، الآية ٨٥.

«فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ»[١]
وتفسيرا لهذه الآية فقد جاء في «التفسير المرشد»:

١. وصنع السامری من الزينة والحلی الذهبية التی قذفها بنو اسرائيل [أو بتعبير بعض التفاسير، الزينة التی بقيت من الفرعونيين لدی بنی‌اسرائيل][٢] تمثالا علی شكل عجل وعرضه. إن توصيف «عجلا جسدا» يشير إلی أن العجل كان علی شكل تمثال، لا أن يكون عجلا حقيقيا؛

٢. وقد تم صنع العجل الذهبی علی يد السامری بصورة سرية وبعيدا عن أعين ومرأی «بنی‌اسرائيل». وتشير مفردة « فَأَخْرَجَ» إلی مرحلة إظهار العجل لبنی‌اسرائيل كما يشير إخفاء المراحل التی سبقته (صنع العجل) إلی إخفاء تلك المراحل عن أنظار عامة القوم؛

٣. وكان لتمثال عجل السامری الذهبی، خوار يشبه خوار العجل. وبما أن التمثال صنع علي يد السامری وعلي شكل عجل، فان خواره كان يشبه خوار العجل؛

٤. وكان السامری، شخص بارع فی فن النحت وصنع التماثيل، وعلی علم بمواقع الضعف الفكری لبنی‌اسرائيل. إن تعبير «فاخرج» يشير إلی شدة شبه تمثال العجل بشكله الحقيقی؛

٥. إن سماع خوار العجل من التمثال المصنوع علی يد السامری، تسبب بانبهار بنی‌اسرائيل به والإيمان بكونه معبودا. إن ذكر مجمل أوصاف العجل، مؤشر علی تدخله فی توجهات بنی‌اسرائيل؛

٦. وقدم السامری، تمثال العجل الذهبی علی أنه «إله» بنی‌اسرائيل وموسی عليه السلام؛

---

١. سورة طه، الآية ٨٨.
٢. « قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ»، سورة طه، الآية ٨٧؛ **خرمشاهي، بهاء الدين**، «موسوعة بحوث القرآن»، المصدر السابق، ص ١١٨١.

٧. وقد واكب وتعاون جمع من بنىاسرائيل مع السامرى فى تقديم العجل الذهبى على أنه معبود؛

إن فعل الجمع «قالوا» يشير إلى أن عددا من الناس اجتمعوا حول السامرى وروجوا لنهجه، أو أنهم تعاونوا معه منذ السابق وواكبوه فكريا، وبادروا أثناء عرض العجل، للترويج لعقيدتهم الباطلة؛

٨. وكان بنو اسرائيل يملكون الخلفية الفكرية المؤاتية لقبول العجل الذهبى كمعبود. إن اختيار شكل العجل للإيحاء بعبادة الأوثان والردة السريعة لبنىاسرائيل، لاسيما بعد مشاهدة معجزات النبى موسى عليه السلام، يؤكد هذا الإنطباع؛

٩. إن السامرى وأنصاره، إدعوا كذبا وزيفا بان موسى عليه السلام قد نسى تقديم العجل كمعبود؛

١٠. وقد أوحى السامرى والموالون والمروجون له، بان عبادة العجل، تعد من معتقدات موسى عليه السلام؛

١١. ضرورة التحلى بالوعى إزاء تزوير ونسب المعتقدات الإنحرافية والملفقة للأنبياء ومدرستهم؛

١٢. الإفادة من الشخصيات صاحبة الشعبية فى المجتمع وإظهار أن أفكارنا وسلوكنا نابعين منهم، هى خدعة من خدع قادة الضلال؛

١٣. وكان السامرى، شخص ناكر للجميل إزاء نعم الله تعالى، وعديم الإكتراث بالرعاية والمدد الإلهيين؛

وإن كان الضمير الفاعلى «نسى» يعود إلى السامرى، فان المقصود منه سيكون نسيان السامرى وعدم اهتمامه بالرعاية الالهية والنجاة من الفرعونيين ونزول «المَنّ والسلوى» وتطايره؛

١٤. واعتبر موسى عليه السلام من وجهة نظر دعاية السامريين، قائد ينتابه

النسيان حتى تجاه أكثر القضايا العقائدية أساسا.[١]

إن ما ورد في معظم التفاسير حول صنع العجل على يد السامري والخوار الذي كان يخرج من فمه، يشير إلى أن المؤلفين المحترمين أغفلوا عدة نقاط.

وذكرت عدة أقوال في هذا الخصوص (خوار العجل):

١. إن براعة ومهارة السامري في الصناعة، أسهمتا في إنتاج هذا الخوار، بمعنى:

ويذهب جمع من المفسرين إلى الإعتقاد أن السامري وفي ظل المعلومات الخاصة التي كان يملكها في مجال إنتاج الصوت بمساعدة الهواء والأشياء، ركّب أنابيب خاصة بداخل صدر العجل الذهبي بحيث كان يخرج صوت يشبه صوت خوار الثور على إثر دخول الهواء من خلف العجل وخروجه بصورة مكثفة من تلك الأنابيب (والتي كانت نهايتها مركبة في فم العجل الذهبي).[٢]

٢. والقول الثاني ينص على أن كيفية تركيب فم العجل بإتجاه هبوب الرياح كانت تؤدي إلى إنتاج الصوت. فيما يرى بعض آخر من المفسرين أن السامري كان قد وضع العجل في مسار هبوب الرياح بحيث كان يخرج صوت يشبه خوار العجل، على إثر ولوج الرياح في فم العجل الذي كان قد صنع في هيئة خاصة.[٣]

٣. والقول الثالث ينص على أن الله تعالى كان قد أخرج ذلك الصوت من ذلك العجل، بحيث نقل عن الإمام الباقر عليه السلام ما مضمونه:

«أن النبی موسی عليه السلام قال لله تعالى يا رب العجل من السامری فالخوار ممن فرد الله تعالى عليه عن طريق الوحی: منی يا موسى إنی لما رأيتهم قد ولوا عنی إلى العجل أحببت أن أزيدهم فتنة.»[٤]

---

١. الترجمة والتفسير من **علي أكبر هاشمي رفسنجاني**، «التفسير المرشد»: www.hashemirafsanjani.ir

٢. جمع من الكتاب، «التفسير النموذجي»، دار الكتب الاسلامية، الطبعة الثانية والعشرون، ج ٦، ص ٣٧١، ذيل الآيات ١٤١-١٤٨ سورة الأعراف.

٣. المصدر السابق، ص ٣٧٢.

٤. **طباطبائي، محمد حسين**، «ترجمة الميزان»، ترجمة موسوي همداني، إسلامي للنشر، الطبعة الخمسون،

وفي رواية اخرى عن **راشد بن سعد** أن **موسى**عليه السلام أتى ربه عز وجل لموعده – وكان وعد قومه أربعين يوما – فقال:

«يا موسى إن قومك قد افتتنوا بعجل، فقال: يا رب، وكيف يفتتنون وقد أنجيتهم من فرعون ونجيتهم من البحر، وأنعمت عليهم؟ قال: يا موسى إنهم اتخذوا من بعدك عجلا جسدا له خوار، قال: يا رب، فمن جعل الروح فيه؟ قال: أنا يا موسى، قال: فأنت أضللتهم يا رب، قال: يا موسى يا رأس النبيين يا أبا الحكماء، إنى رأيت ذلك فى قلوبهم فيسرته لهم.»[1]

٤. والقول الرابع هو أن **السامري** وضع قبضة من تراب تحت أقدام مبعوث الله (جبرئيل الأمين) في جسد العجل، وأدى ذلك إلى نفخ الروح في العجل وإصداره خوارا. وجاء في بعض الروايات:

«قال موسىعليه السلام **للسامرى: كيف قمت بهذا؟ فقال السامرى: لقد بصرت بما لم يبصره الاخرون.»**

وقد شاهد السامري، **جبرئيل**عليه السلام عندما نزل لإغراق **فرعون** وجنوده وهو يستقل حصانا من الجنة، وقد استغل السامري هذا الموقف والتقط قبضة من تراب تحت أقدام جبرئيلعليه السلام أو تحت أقدام حصانه (بناء على التفسير الثاني) واحتفظ بها عنده. ومن خصائص هذا التراب هي أنه كان ينفخ الروح في كل شئ يوضع فيه. وبما أن السامري كان مطلعا على هذا الأمر، وضع تلك الكمية من التراب التي كان يحتفظ بها في العجل بعد صنعه، ما أدى إلى نفخ الروح في العجل وإصداره خوارا.[2]

ومع احترام أقوال جميع المفسرين الأجلاء، أضيف إلى هذه المجموعة:

أولا: إن بني‌اسرائيل شهدوا لسنوات مديدة بجانب المصريين والفرعونيين،

١٣٧٤، ج ١٤، ص ٣٦.

١. **السيوطي، جلال الدين**، «الدر المنثور»، الطبعة الاولى، ١٣٦٥، ج ٣، ص ١٢٩.

٢. **طباطبائي، محمد حسين**، المصدر السابق، ذيل الآيات ٨٠–٩٨ سورة طه.

سحر السحرة وشعوذة كهنة المعابد، وكذلك الأعمال الخارقة والمثيرة للدهشة (بما يشبه المعجزة والكرامة الرحمانية للأنبياء والأولياء الالهيين)، أي كل ما لجأ إليه السحرة والكهنة طوال القرون بمدد من الشياطين لقرصنة عقول وأعين الناس واستمالة قلوبهم. وفي ظل هكذا وضع، فان السامري ومن خلال صنعه تمثالا ذهبيا وتركيب عدة أنابيب في جوف العجل ووضعه في مهب الريح، لم يكن ليستطيع إبهار أعين وقلوب عشرات الالوف من الناس ودفعهم للسجدة للعجل.

ثانيا: وكان بنو اسرائيل قد شاهدوا بعد تعرفهم على النبي **موسى**عليه السلام وبعد عبور البحر، معجزات مذهلة وعديدة، وكل هذا لا يفسح المجال للسامري لتمرير خدعته، إلا إذا كان السامري أظهر لهم عملا خارقا يشبه معجزة موسى عليه السلام.

ثالثا: ولم تأت أي من المصادر، حتى التوراة على ذكر هبوب الريح ووضع العجل في مهب الريح، فضلا عن أن الناس شاهدوا جسد العجل لا عجلا حقيقيا، وسمعوا ذلك الخوار والهيئة الخارقة من تمثال. إن توصيف «عجلا جسدا» يبين أن العجل كان بلا روح ومجرد تمثال، وكان «خوار» يخرج من فم هذا التمثال.

رابعا: واستنادا إلى الآية المباركة:

«قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي»[1]

ويقول السامري: عندما دخلنا البحر، شاهدت شيئا لم يشاهده بنو اسرائيل، فعندما كان يتحرك **جبرئيل**عليه السلام، كانت الروح تنفخ في تراب موطئ قدمه، فالتقطت كمية من ذلك التراب.

والمقصود من «بَصَر» في «بَصَرت»، ليس الرؤية بالعين الظاهرة. وورد في مفردات «راغب»:

إن جملة «بَصرتُ به» تستخدم عادة فى «البصيرة» أى الفهم وجمعها

---

١. **طباطبائي، محمد حسين**، المصدر السابق، ذيل الآيات ٨٠-٩٨ صورة طه.

«بصائر»، لا فى «البَصَر» بمعنى العين وجمعها «أبصار».[١]

ويمكن الإستنتاج:

إنه إستنادا إلى الآيات القرآنية، وكما سنرى لاحقا، فان السامري كان يتمتع ببصيرة وعلوم تفوق العلوم العادية، وكان يستفيد من الشأن والمقام العلمي بين الناس.[٢] وهذه البصيرة أدت إلى أن يطلع على العلوم فوق المادية، وإن لم نعتبر زعمه وإستنادا إلى بعض المصادر، بشأن رؤيته **جبرئيل**عليه السلام، مجرد زعم كاذب وزائف، يمكن القول حينها، أنه كان يحتل موقعا يمكنه من رؤية ومشاهدة الكائنات فوق المادية، واستخدام العناصر والمكونات بصفة خاصة، أو أن يتصرف فيها بشكل خاص. ومن هذه المنطلق، نقول: **قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ.**[٣]

لقد كان **السامري** بارعا في صناعة ونحت التماثيل، وكان يملك القدرة على صب القوالب والسبك[٤] واستطاع من خلال ذلك صنع جسد العجل وإضلال شعب لأربعين يوما ودفعهم إلى عبادة العجل المصطنع. ويجب القول بان هذه الصناعة تمت بطريقة غير عادية وغير مألوفة واستطاع من خلال التصرف غير المادي والقوى التي كان يملكها، صنع تمثال جميل من الذهب والحلي يصدر خوارا.

وينقل المرحوم العلامة **طباطبائي** قصة السامري عن «تفسير القمي» ويقول:

وعندما قصد النبى موسىعليه السلام **«جبل الطور» لأخذ التوراة والألواح، ولم يعد فى الموعد المقرر، تمرد بنو اسرائيل منخدعين بابليس، وارادوا قتل خليفته، هارون. وحينها ظهر ابليس عندهم على هيئة رجل وقال: «لقد هرب موسى ولن يعود». ولأجل ألا تبقوا من دون إله، إجمعوا**

---

١. **راغب الاصفهاني، حسين محمد**، «المفردات في غريب القرآن»، دار العلم، ١٤١٢هـ .ق.، ص ١٢٧.
٢. سورة طه، الآيتان ٩٥ و ٩٦
٣. المصدر السابق.
٤. سورة الأعراف، الآية ١٤٨؛ سورة طه، الآية ٨٧.

حليكم لأصنع لكم معبودا تعبدوه. وقد صنع السامرى وبحفنة التراب التى التقطها من تحت أقدام حصان جبرئيل وكان يتباهى بها، العجل من الذهب ورشّ فيه ذلك التراب، فاطلق العجل، صوتا فخر بنو اسرائيل له ساجدين، وبلغ عدد الذين سجدوا، سبعين الف انسان... .[1]

وكان **السامري** يملك قدرات فائقة (في العلوم الغريبة) وسلك مراتب في هذه العلوم كان يستطيع فيها أن يشهد بعض الصور المجردة أو الإفادة من هذه العلوم لإنجاز عمل خارق وماورائي.

وكل من لديه أدنى معرفة بالعلوم الغريبة وتفرعاتها والشعب الخاصة لعلم التسخيرات، يعرف أن تسخير الجنّ الخبثاء، هو أبسط عمل في هذه المهنة الخفية. فالجني الذي تم تسخيره قادر من دون أن يُرى على اختراق جسد ملائم، والعمل وفق أوامر المُسخِر. وبناء على ذلك، كان السامري في غنى عن تعبئة وتركيب أي أنبوب وأداة في بطن العجل. وكيف يمكن خداع أناس أصحاب تجربة وخبرة مثل «بني‌اسرائيل» من خلال وضع العجل في مهب الريح؟

إن صنع العجل بطريقة خارقة وجذابة، بما يشبه الإعجاز الرحماني، كان المنفذ الوحيد الذي يفضي إلى القرصنة والعبث بأعين وعقول بني‌اسرائيل، وكان السامري يتمتع بهذه القدرات، أي التصرف السحري.

والنقطة الأخيرة هي أن السامري وباذن الله تعالى، كان سببا لفتنة واختبار بني‌اسرائيل. بمعنى أن الله تعالى فتنهم لكي يُعرف الصالح والطالح منهم.

وكل قوم غير قادرين على الفرار من هذه الفتنة الإلهية، وأن فتنة بني‌اسرائيل كان يجب أن تحدث قطعا في ظرف يتناسب مع الظروف التاريخية التي كانوا يمرون بها.

إنهم وبعد تجاوز سني الإقامة في «مصر» وتجربة العيش مع السحرة والمشعوذين المكرة، وبعدها تجربة معجزات النبي **موسى**عليه السلام، كان يجب أن

---

١. **القمي، علي بن ابراهيم**، «تفسيرالقمي»، قم، دار الكتب» ١٤١٧، ج ٢، صص ٦١-٦٢

يُمحصوا في اختبار وفتنة من هذا النوع. فتنة سحر **السامري**.

وكل تلميذ، يواجه امتحانا واختبارا يتناسب بالضرورة مع ما تلقاه من تعليم. فلا يمكن إجراء فحص التاريخ على تلميذ يدرس الفيزياء. ولا يجب نسيان أن إنتخاب السامري لتمثال العجل معطوف على الخلفية الذهنية لبني‌اسرائيل حول العجل المقدس ومعرفة السامري بذلك، وبغير ذلك، لما كانت حيلة ومكيدة السامري تمرّ.

وعلى مدى عشرة أيام من تأخر النبي **موسى**عليه السلام، نهض السامري وجمع حلي ومصوغات بني‌اسرائيل والتي بقيت بحوزتهم من الفرعونيين وزيّن ونمّق عجلا سماه إله بني‌اسرائيل.

مصير السامري

«فَرَجَعَ مُوسَـى إِلَى قَوْمه غَضْبَانَ أَسفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَـنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْـدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلّ عَلَيْكُـمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِى»[1]

فقال بنو اسرائيل للنبي **موسى**عليه السلام:

«قَالُـوا مَا أَخْلَفْنَـا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّـا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّـن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِىُّ»[2]

وانبرت جماعة من بني‌اسرائيل، ندمت على فعلتها، لطلب الإعتذار والصفح، فالقت باللائمة على السامري واعتبرته المذنب الرئيسي على ذلك.

وقد دان النبي موسى عليه السلام، **السامري** بعد استجوابه ومحاكمته وبسبب إضلاله لبني‌اسرائيل، وطرده ونبذه من مجتمع بني‌اسرائيل، وطبق عليه ثلاثة أحكام:

١. وردت في «القرآن الكريم»:

«قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ»[3]

وبذلك فان النبي موسـى عليه السلام، جعل **السامري** في عزلة مطلقة. وذهب البعض إلى القول:

---

١. سورة طه، الآية ٨٦.
٢. المصدر السابق، الآية ٨٧.
٣. سورة طه، الآية ٩٧.

إنه أصيب بمرض نفسي على شكل وسواس شديد، ورُهاب الإنسان.[١]

٢. وردت أيضاً:

«وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ»[٢]

وبذلك فقد ذكره النبي **موسى**عليه السلام بالعقاب الأخروي.

٣. والعقوبة الثالثة تمثلت في قول النبي موسى عليه السلام للسامري:

«وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِى الْيَمِّ نَسْفًا»[٣]

النبي موسى عليه السلام وقوم منحرفون

والمؤسف أن «التوارة» المُحرفة، نسبت في «سفر الخروج» إلى **هارون**عليه السلام جمع حلي بني‌اسرائيل وصنع العجل.

ويقول هارون متوجها إلى موسىعليه السلام: **قلت لهم، من يملك ذهبا وحليا؟ فكانوا يعزلون الحلى عنهم ويعطونها لى. فرميتها فى النار. وانبثق هذا العجل. ورأى مُشه (موسى) بان هؤلاء القوم منفلتون وجامحون ومتمردون، لان اهرون (هارون) جعلهم ينفلتون ويتمردون لفضحهم أمام أعدائهم.**[٤]

وفي المقابل، وحسبما يقول القرآن الكريم، فان هارون عليه السلام كان قد قال لهم من قبل:

«وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوا أَمْرِى»[٥]

---

١. «التفسير النموذجي»، ج ١٣، ص ٢٨٥؛ «مجمع البيان»، ج ٤، ص ٢٨.
٢. سورة طه، الآية ٩٧.
٣. المصدر السابق.
٤. «التوراة»، سفر الخروج، الفصل ٣٢، الآيتان ٢٤-٢٥.
٥. سورة طه، الآية ٩٠.

فقال بنو اسرائيل:

«قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى»[1]

ورجع موسى عليه السلام غاضبا وآسفا إلى قومه وقال لهم:

«وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»[2]

وبهذا الإقرار الجلىّ والمؤشر على معرفة السامرى بفعله وعمله، دان النبى موسى عليه السلام السامرى وعاقبه، ونبذه وأحرق العجل ورماه فى البحر.[3]

وتتناول «التوراة» هذه القضية بهذا الشكل:

- وعندما اقترب (موسى) من المعسكر، شاهد ذلك العجل، وأهازيج ورقصة (الناس). فاستشاط مُشه (موسى) غضبا. فرمى بتلك الألواح من يديه، وحطمها عند سفح ذلك الجبل.
- وأحرق ذلك العجل الذى كانوا قد صنعوه، وسحنه إلى أن تحول إلى مسحوق ورشه على الماء وسقى أبناء يسرائيل (بنىاسرائيل) من ذلك الماء.
- وقال مشه (موسى) ل اهرون (هارون): ماذا فعل هؤلاء القوم بک حتى جعلتهم يقترفون خطأ فادحا؟
- وقال أهرون (هارون): لا يغضب سيدى، وأنت تعلم بان هؤلاء القوم، كانوا يميلون إلى الشرّ.
- وقالوا لى: إصنع لنا مظهرا من القائد (الذى لا يُفنى) حتى يمشى فى

١. المصدر السابق، الآية ٩١.
٢. سورة الأعراف، الآية ١٥٠.
٣. سورة طه، الآية ٩٧.

مقدمتنا، لاننا لا ندرى ماذا حل بمشـــه (موســـى)، الشخص الذى أخرجنا من أرض مصر.[١]

١. «التوراة»، سفر الخروج، الفصل ٣٢، الآيات ١٩-٢٣.

أربعون عاما من التيه في وادي التيه

وبالرغم من أن نبي الله **موسى**عليه السلام كان قد أوصل بعد جهد جهيد، «بني‌اسرائيل» إلى أبواب «كنعان»، الأرض التي وعدها الله، لكنهم إمتنعوا عن الجهاد، ولذلك فقد تأخر فتح هذه البلاد، لردح من الزمن.

وكان ينبغي أن يمر أربعون عاما لكي يتمكن بنو اسرائيل من الدخول إلى الأرض التي وعدوا بها. وكانت هذه السنوات هي سنوات التيه في «صحراء سيناء».

وبعد أن شاهد النبي موسىعليه السلام كل هذا العناد والتمرد من بني‌اسرائيل، لعنهم وقال:

«قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ»[1]

واستجيب دعاء نبي الله موسىعليه السلام، وأصاب الله، بني‌اسرائيل بعذاب من نوع اخر.

«قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ»[2]

---

١. سورة المائدة، الآية ٢٥.

٢. المصدر السابق، الآية ٢٦.

وأرجئت المهمة لاربعين عاما، ومرّ بنو اسرائيل خلال هذه المدة بالتيه والحيرة، لم يستطيعوا فيها إيجاد مخرج لهم. وكان موسى عليه السلام بينهم لكنهم لم يتمكنوا من الإفادة من توجيهاته وإرشاداته.

وواجه بنو اسرائيل في هذه المنطقة المرض والموت أربعين عاما. وتبدل جيل، وفارق موسى عليه السلام الحياة.[١]

إن بنى‌اسرائيل ومع كل التقدم التعليمى والتجريبى وتسجيل الذكريات والتاريخ، لم يتمكنوا بعد من العثور على قبر نبيهم. لانه فارق الحياة عندما دخلوا هم التيه.[٢]

١. راجع «كمال الدين وتمام النعمة»، ص ١٣٥.
٢. راجع «مجمع البيان»، ج ٢، ص ٢٧٩؛ «كامل ابن أثير»، ج ١، ص ٢٠٢.

خلافة النبي موسى عليه السلام

وتأسيسا على «التوراة» فان بني‌اسرائيل وبعد خروجهم من «مصر» (١٤٤٦ قبل الميلاد) وعبورهم ل «البحر الأحمر»، مرّوا بمناطق مثل «جبل طور» (سيناء) والأجزاء المختلفة من «صحراء سيناء» بما فيها صحارى «سين» و «فاران» ومواقفها العديدة. واستمرارا لسيرهم نحو الأرض المقدسة، وصلوا إلى صحراء تدعى «قادش برنيغ» وهي أقرب جزء من صحراء سيناء للحدود الجنوبية ل «كنعان» وتعد بعد «جبل سيناء» أشهر موقع في تاريخ تيههم. وقد مضت معظم سنوات تيه الأربعين عاما لبني‌اسرائيل في هذه المنطقة.[١]

وهنا أوفد النبي **موسى** عليه السلام إثني عشر من نقباء بني‌اسرائيل بإتجاه الحدود الجنوبية لكنعان لدراسة ظروفها الجغرافية والإقتصادية وإمكاناتها ووضعها الدفاعي (١٤٤٣ ق.م.)، وقد عاد هؤلاء بعد أربعين يوما من التقصي والتحري، وتحدثوا عن خصوبة الأرض والمقاتلين الضخمين والأشداء لتلك البلاد والقلاع الدفاعية والعالية والقوية للمدن. ومن بين هؤلاء كان إثنان فقط وهما **يوشع بن نون** و **كُولَب بن يوفَنَّا** وإعتمادا منهما على الله تعالى والتذكير بالعناية والوعود الإلهية، شجعا وحفزا بني‌اسرائيل على فتح أرض الميعاد، لكن العشرة الباقين، انتابهم الخوف

---

١. «التفسير التطبيقي للكتاب المقدس»، ص ٢٧٠-٢٧١؛ «الكتاب المقدس»، الخروج ١٥:٢٢ العدد ١٠: ١١-١٢؛ ١٠:٣٣؛ العدد ٢٠:١.

والرعب مع مشاهدة تلك الأوضاع والظروف، فضلا عن أنهم ألقوا الخوف والرعب في قلوب بني‌اسرائيل من خلال كلامهم ووصفهم العدو بانه لا يقهر، ولذلك اعتبروا أن النتيجة المحتومة لهذه المواجهة تتمثل في مقتل الرجال ووقوع النساء وابناء القوم في الأسر، وأحجموا بذلك عن الإمتثال لأمر الله في خوض الحرب والقتال.

ولم تسفر محاولات نبي الله **موسى**عليه السلام و**هارون**عليه السلام ويوشع وكولب عن نتيجة، إذ أعرب بنو اسرائيل عن ندمهم لمغادرتهم مصر ودعوا إلى انتخاب قائد جديد، ليثيروا بذلك فكرة عودتهم مجددا إلى مصر.

وعقابا لهذا الجحود والتمرد السافر برغم ما شهدوه من معجزات وإمدادات ورعاية الهية، تحدث الله عن حرمان القوم لاربعين عاما من دخول «أرض الميعاد» وموت جميع من هو في العشرين عاما فما فوق منهم، سوى يوشع وكولب.

وتعني مفردة «التيه» الصحراء التي انتشر وتبعثر فيها بنو اسرائيل. ولم ترد في القرآن بل إستخدم تعبير «**يَتيهونَ في الأرض**».[1]

ويرى المؤرخون المسلمون[2] والمفسرون الشيعة[3] والسنة[4] وتبعا للمفسرين الأوائل، إن ظل الغمام في تجوال بني‌اسرائيل، ونزول المَنَ والسلوى وتفجر العيون الإثنتي عشرة من الحجر لبني‌اسرائيل[5] وكذلك وفاة النبي موسى‌عليه السلام وهارون‌عليه السلام، حصل في هذه الصحراء.

---

١. سورة المائدة، الآية ٢٦.

٢. **الطبري، محمد بن جرير**، «تاريخ الأمم والملوك»، ج ١، صص ٢٥٤، ٢٥٦ و ٢٥٧؛ **الدمشقي، اسماعيل بن كثير**، «البداية والنهاية»، ج ١، صص ٢٤٩ و ٢٨٠؛ **المقدسي، مطهر بن طاهر**، «البدء والتاريخ»، ج ٣، ص ٨٧.

٣. **الطبرسي، فضل بن حسن**، «مجمع البيان»، ج ١، صص ٢٢٤-٢٢٦، ٢٣٢ و ج ٣، ص ٣٠٩؛ **الطوسي، محمد بن حسن**، «التبيان»، ج ١، صص ٢٥٩، ٢٦٩ و ج ٣، ص ٤٩٠؛ **فيض كاشاني، ملا محسن**، «الصافي»، ج ١، ص ١٣٥ و ج ٢، صص ٢٦ و ٢٤٥.

٤. **الطبري، محمد بن جرير**، «جامع البيان»، مج ١، ج ١، صص ٢٣٨-٤٤٢ و ج ٦، ص ٢٤٩؛ **القرطبي، محمد بن احمد**، «الجامع لاحكام القرآن»، ج ١، ص ٤٠٦؛ **الدمشقي، إسماعيل بن كثير**، «تفسير القرآن العظيم»، ج ١، صص ٩٨-١٠١.

٥. سورة البقرة، الآيتان ٥٧ و ٦٠؛ سورة الأعراف، الآية ١٦٠؛ سورة طه، الآية ٨٠.

إن الرواية التي يأتي على ذكرها القرآن الكريم حول سبب تيه بني‌اسرائيل والذي استمر اربعين عاما، تتناسق مع «التوراة». وعندما وصلوا إلى حدود «فلسطين»[١] أمروا حسبما يصرح القرآن، بان يخوضوا حربا بعد دخلوهم الأرض المقدسة، مع سكانها، والإستيلاء عليها للسكن فيها، لكنهم تجاهلوا الأمر الإلهي للنبي **موسى** عليه السلام رغم تحذيراته الصريحة، وذلك تحت ذريعة ضخامة وجبروت سكان المدينة الذين كانوا يعرفون بـ«العمالقة»، وأحجموا عن الدخول إلى المدينة والقتال مع الكفار. وقد اشترطوا الدخول إلى الأرض المقدسة بخروج هؤلاء القوم، وطلبوا من موسى عليه السلام أن يذهب هو وربه ليقاتلا.[٢] إن هذا الذنب والتمرد الصريح الذي قوض أساس دعوة النبي موسى عليه السلام[٣] تبعه حرمانهم في ظل لعنهم من قبل النبي موسى عليه السلام من الدخول إلى الأرض المقدسة والإقامة فيها لاربعين سنة وتاهوا في الأرض كعذاب لهم.[٤]

«قَالَ رَبِّ إِنِّی لا أَمْلکُ إِلاَّ نَفْسی وَأَخی فَافْرُقْ بَیْنَنَا وَبَیْنَ الْقَوْمِ الْفَاسقینَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَیْهِمْ أَرْبَعِینَ سَنَةً یَتیهُونَ فِی الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَی الْقَوْمِ الْفَاسقینَ»[٥]

ويُظهر الجزء الأخير من الآية ٢٦ من سورة المائدة، بان نبي الله موسى عليه السلام ومع علمه بحرمان بني‌اسرائيل من الدخول إلى الأرض المقدسة لأربعين سنة، ندم وحزن على لعنهم، لذلك واساه الله تعالى، واعتبر أن بني‌اسرائيل يستحقون هكذا

١. الطبري، محمد بن جرير، «تاريخ الأمم والملوك»، ج ١، ص ٢٤٥، ٢٨٠؛ المقدسي، مطهر بن طاهر، «البدء والتاريخ»، ج ٣، ص ٨٧.
٢. سورة المائدة، الآيات ٢١-٢٤.
٣. طباطبائي، سيد محمد حسين، «الميزان»، ج ٥، ص ٢٩٣.
٤. الطبري، محمد بن جرير، «جامع البيان»، مج١، ج ١، ص ٤٢٤؛ الطوسي، محمد بن حسن، «التبيان»، ج ١، ص ٢٥٩؛ الطبرسي، فضل بن حسن، «مجمع البيان»، ج ١، ص ٢٢٥.
٥. سورة المائدة، الآيتان ٢٥- ٢٦.

عقاب بسبب فسقهم وتمردهم.[١و٢]

وتتطرق التوراة إلى مسألة خلافة **يوشع**عليه السلام في «سفر العدد» وتقول:

قال الله لـمُشـه (موسى): إرفع يهوشوع (يوشـع) إبن تون! الرجل الذى توجـد فيه روح (الله) وأسـند يديـک إليه. وقدم لـه توصيات بحضور العازار كوهن (كاهن) وحضور الحشـد من الناس. أنقل إليه من مجدک حتى يطيعه جميع بنى يسرائيل (إسرائيل).[٣]

وكان يوشع بن نون عليه السلام خليفة **موسى**عليه السلام لدى «بني‌اسرائيل».

وفى هذه الأثناء، كانـت امبراطورية مصر تحت قيادة آمنحوتيب الثالث فى طريقها إلى الإنهيـار والزوال، فيما كانت كنعان ذاتها بتمر بفترة من الإضطرابات وأعمال الشـغب وكان ملوكها العمـلاء على ارتباط خفى مع الغزاة من الشـمال والشـرق. وشـكلت هذه لحظة ملائمة بالنسـبة لبنى‌اسـرائيل القاطنين فى الصحراء والمثابريـن والمناضلين تحت قيادة يوشععليه السلام[٤] **[وصىّ النبى موسى**عليه السلام**] ليدخلوا فى الساحة ويستولوا على أرض ميعادهم.**[٥]

وبعد موسـىعليه السلام **توجه بنو اسـرائيل إلى يوشع بن نون**عليه السلام **وطلبوا منه المساعدة والمؤازرة. فقال: يجب أن تستولوا على القدس. وأعلن الجميع جهوزيتهـم وانطلقوا إلى أن وصلوا إلى «البحر الميت». فضرب يسـوع البحر بعصاه، فانشـق الماء وعبروا البحر وفتحوا القدس بهذه السهولة.**[٦]

---

١. **الزمخشري، محمود بن عمر**، «الكشاف»، ج ١، ص ٦٢٣؛ **فخر الرازي، محمد بن عمر**، «التفسير الكبير»، ج ١١، ص ٢٠.

٢. **أسـدي، علي** (عضو هيئة التدريس بمعهد بحوث العلوم والثقافة الاسـلامية)، مجلة «معرفة الاديان»، السنة الثانية، العدد الاول، شتاء ١٣٨٩، صص ٥-٢٠.

٣. «التوراة»، سفر العدد، الفصل ٢٧، الآيات ١٨-٢١.

4. Joshua .

٥. **إيزيدور ابستاين**، «اليهودية ودراسة تاريخية»، المصدر السابق، ص ٣٢.

٦. «سلالة الإنحراف»، دراسة في معرفة العدو التاريخي، ج ١، منذ الخلق وحتى ختم النبوة، قم، مؤسسة اللوح والقلم، ١٣٨٣، صص ١٥٩-١٦١.

ومـع عبور الأردن بالقرب من البحر الميت، أخترقوا كنعان، وبعد فتحهم «أريحا»[1] أستولوا سريعا على الشمال المركزى لفلسطين، ومن ثم شمال فلسطين وبالتالى جنوب فلسطين...، لكن الإستيلاء على هذه البلاد لم يتم بالكامل. وكانت ثمة مدن عصية على الإستيلاء وتفصل القبائل المتنازعة عـن بعضها البعض متناثـرة فى أرجـاء البلاد، لم يفلح يوشـع عليه السلام فى الإستيلاء عليها، لكن إجمالا، تقارنت هذه الفتوحات بالنجاح لدرجة أنها مكنت يوشـع من تنظيم وترتيب الحياة السياسية والدينية لبنى‌اسرائيل. وقسّم المناطق المستولى عليها بين القبائل وخصص لكل منها حصة وفقا لعدد سكانها، لكن هذا التنظيم الإتحادى للقبائل لم يكن على درجة كبيرة من الصلابة والثبات حتى يدوم بعد يوشـع عليه السلام واندلعت بعد موته موجة من الهرج والمرج والإضطراب «وفعل كل ما كان يريده ويحبذه».[2]

ولم تسـتطع القبائل المنقسـمة على نفسها، حتى أثناء مواجهة خطر عدو لـم يهزم بعد، الإتحـاد فيما بينها. لذلک كانت مجبـرة على اللجوء إلى الطرق السلمية. وأفضى ذلک إلى التقليد المتسم بالشرک لدين جيرانهم وبكل طقوس الخصوبة الشهوانية والأعمال والممارسات المنحطة للغاية. فتخلـى البعـض عن عبادة يهـوه وانخرطوا فى عبادة بعل[3] واسـتارته[4] المحليين ممن كانوا ينسبون إليهم خصوبة الأرض وزيادة قطيع الماشية، فيمـا لجأ البعض الاخر إلى عبادة يهوه وبعـل. وكانوا يعتبرون يهوه إله حارس الأمـة، فيما كان بعـل واهب المحصول والعنـب. وتصرف عدد اخر بصـورة مدمجة ونقلوا جميع نعوت وألقاب وأسـاليب عبادة الآلهة المحليين إلى يهوه.[5]

1. Jeriho

٢. سفر الملوك، الباب ١٧، الآية ٦.

3. Baals.
4. Astartes.

٥. **إيزيدور ابستاين**، المصدر السابق، صص ٣٢-٣٣.

وعلى أى حال، فان بنى‌اسرائيل وبعد تحملهم العذابات والمعاناة الهائلة وصلوا تحت قيادة يوشع بن نون عليه السلام إلى «أرض الميعاد». وحسبما تقول التوراة، فان النبى موسى عليه السلام كان قد وعد يوشع عليه السلام بهذا النصر.

واستدعى مُشه (موسى)، يهوشوع (يوشع) وقال له أمام مرأى جميع بنى يسرائيل (إسرائيل): كن قويا وشجاعا، لانك ستصل مع هؤلاء القوم إلى الأرض التى أقسم الله لآبائهم أن تمنحها لهم. وستقوم أنت بتقسيمها بينهم لتملكها.[1]

وبعد **يوشع بن نون** عليه السلام الذي حقق فتوحات كثيرة لبني‌اسرائيل، تولى **صموئيل** عليه السلام قيادتهم.[2] ويمكن الإشارة إلى القيادات الدينية من بعده إلى **داوود بن يسى** عليه السلام و**سليمان بن داوود** عليه السلام و**سمعيا النبي** عليه السلام و**ايليا النبي** عليه السلام.[3 و 4]

كل مبتغى الله المتعال، لم يتحقق

وقبل أن يتمكن بنو اسرائيل من إكمال المهمة الجسيمة التي كلفهم الله تعالى بها، خرجوا مرة اخرى عن الطريق.

إن بعثة النبي موسى عليه السلام وسائر أنبياء بني‌اسرائيل، لم تؤت أكلها لدى بني‌اسرائيل، برغم كل الجهود والمثابرات التي قام بها هؤلاء المختارون من السماء وجميع المعجزات والنعم التي نزلت من السماء، وماعدا قلة قليلة من الأتباع الصادقين للنبي موسى كليم الله عليه السلام، فان البقية الباقية أصيبت بزهو السلطة وغرورها وانحرفت عن المسار الحقيقي ومالت إلى اللهاث وراء السلطة والإمساك بالحكم. وأعطى الفكر الموسوي مكانه للفكر المتهود.

ويلقي القرآن الكريم، باللائمة والذمّ على بني‌اسرائيل لانحرافهم عن جادة

---

١. «التوراة»، سفر التثنية، الفصل ٣١، الآية ٧.
٢. المصدر السابق، أول صموئيل، الفصل ١، الآيات ٨-١٦.
٣. المصدر السابق، الفصل ١٦، الآيات ١-٨.
٤. **روحي، أبوالفضل**، «سيماء بني‌اسرائيل في القرآن والعهدين»: www.rasekkhon.net.

الصواب والحق بعد تجربة الكثير من المعجزات والآيات البينات:

«سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ»[1]

وهـذه الآيات الالهية غطت معجزات مختلفة بما فيها تحول العصا إلى حية وانشـقاق البحر وغرق فرعـون وجنوده ونزول المَنّ والسـلوى وظلال الغمام في سـنوات التيه و... ، لكنهم أشركوا المرة تلو المرة، ونكثوا العهد والميثاق ولجأوا إلى عبادة الأوثان.

«لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْـرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ»[2]

وقـد تطرق «القرآن الكريم»، في آيات عديدة إلى الفكر والعمل الشـيطاني لبني‌اسرائيل، وأكد في الوقت ذاته على موضوعات مثل أخذ الربا (النساء، ١٦١) وتحريف الكتاب السـماوي (البقرة، ٧٩) وانـكار الوحي (الأنعام، ٩١) ونكث العهد (البقرة، ١٠) و... .

وفي ظل سمسـرة الشيطان، أرسى أشرار بني‌اسـرائيل، نظاما واساسا خاصا في محاربة المؤمنين والحقائق الوحيانية، وكما ذكرنا سـلفا، فان قوم بني‌اسـرائيل وفـي المنظور التوراتي، تخطوا سـت دورات، منذ مرحلة الهجرة الأولى والدخول إلى «كنعان» (عهد الشـيوخ) إلى مرحلة تشـكيل الدولـة ونظام الملك (العهد الملكي).[3]

وبعد **يوشع بن نون** عليه السلام مرّ بنو اسرائيل بعهد الملوك. وقد ذكر تاريخ هذا العهد في «سـفر الملـوك». وبعد آخر ملك، دعا النـاس، النبي **صموئيل** عليه السلام لينتخب لهم ملكا. ولم يكن بنو اسـرائيل يملكون ملكا في تلك الحقبة. وقد عين النبي صموئيل عليه السلام وبعد إصرار كبير من الناس، شابا من جانب الله، كملك للقوم.

---

١. سورة البقرة، الآية ٢١١.

٢. سورة المائدة، الآية ٧٠.

٣. **اشتياني، جلال الدين**، «دراسة في الديانة اليهودية»، المصدر السابق، ص ٩٨.

وقد أنتخب أول ملك لبني‌اسرائيل بحوالي عام ١٠٣٠ قبل الميلاد. وورد إسم هذا الملك في «العهد العتيق» (الكتاب الاول صموئيل، الباب ٩ فصاعدا) **شاؤول** وفي «القرآن الكريم» **طالوت**.

«وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا...»[١]

وبعد انتخاب أول ملك، اندلعت حرب مهمة بين بني‌اسرائيل وفلسطينيي تلك الحقبة، كان النصر فيها حليفا لبني‌اسرائيل.

وكان «جُليات» ألد أعداء هؤلاء القوم والذي سمي ب «جالوت» في القرآن الكريم. وقتل على يد النبي **داوود**عليه السلام وهرب جيشه. وحلّ النبي داوودعليه السلام خليفة ل طالوت (حوالي ١٠١٥ ق.ب) فيما خلف النبي **سليمان**عليه السلام والده داوود، وأوجد أروع وأهم عصر من عصور بني‌اسرائيل. وقد شيد معبدا رائعا في مدينة «اورشليم» (أي مدينة السلامة) عرف بـ«هيكل سليمان»[٢]. والهيكل باللغة العبرية تعني العمارة المرتفعة. وقد دمر هذا المعبد مرة على يد نبوذنصر بحدود عام ٥٨٧ قبل الميلاد، ومرة أخرى على يد الأمير الروسي **تيتوس**[٣] بحوالي عام ٧٠ للميلاد.

وبعد رحيل النبي سليمانعليه السلام، تولى ابنه «رِحُبعام» زمام أمور مملكة بني‌اسرائيل، ومارس الظلم، وتمرد حشد من الناس على أوامره، وبقيت له فقط [بلاد] سبطي يهودا وبنيامين في أرض «يهودا» (باسم أحد ابناء النبي يعقوب عليه السلام)، والتي كانت أصغر قسم نسبيا. وهذا القسم الذي كان يضم أيضا مدينة أورشليم (القدس)، كان يكتسي أهمية كبيرة للغاية، ويأتي اسم اليهودي من هنا. وشكلت الأسباط العشرة الاخرى حكومة مستقلة باسم اسرائيل وبقيادة شخص يدعى «يَربُعام بن نایاط» في شمال فلسطين. وكان يربعام أحد ولاة النبي سليمانعليه السلام.

---

١. سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

٢. الهيكل: وجمعها هياكل: عمارة مرتفعة، بناء مرتفع، موضع في الكنيسة يتم فيه تقديم القرابين. (معجم معين للغة الفارسية).

3. Titus

وشكل تقسيم البلاد، سببا لضعفهم وتعاستهم. وكان ملوك يهودا واسرائيل، آثمين عموما، ويدعون الناس لارتكاب المعاصي وعبادة الأوثان.[1]

إن الإنقسامات المذهبية والصراعات الداخلية، وتقويض الدولة السليمانية المقتدرة، أدى إلى أن يطمع ملوك بابل ببلاد بني‌اسرائيل.

١. **توفيقي، حسين**، «التعرف على الاديان الكبيرة»، ص ٨٩.

إنحراف «بني‌اسرائيل» ونشأة تنظيم قبيلة اللعنة

ومنذ اليوم الأول من خلق النبي **آدم**عليه السلام وبعد هبوطه إلى الأرض، شمّر ابليس عن ساعديه لإغواء الانسان وعقد العزم على ذلك في ضوء ما أقسم به. فقد أقسم بعزة اللّه ليغوينهم كلهم أجمعين ويبعدهم عن الصراط المستقيم، وجنّد في هذا الطريق جلّ إمكاناته وقدراته وجنوده الوضعاء من الجنّ.

بعبارة أخرى، فان تيارين نشآ في الارض، أحدهما رحماني وإلهي والاخر شيطاني، وكلما مرّ الزمن، تزايدت تعقيدات خدع ومكائد جنود الشيطان. إن الأنبياء الالهيين العظام الذين كانوا يبعثون من قبل الله الرحمن مع «كتاب الله»، كانوا يأتون كل يوم أكثر تجهيزا وأكمل لطائفتهم وقومهم، لينقذونهم من مصائد وأفخاخ ابليس.

وربما يمكن تقسيم حقب ودورات حضور وعمل الشياطين بين الأناس إلى دورتين هما **البسيطة** و**المركبة**. فمنذ عهد النبي **موسى**عليه السلام، وفر **ابليس** شبكة منتظمة وممنهجة بين الناس لكي يكتسب مزيدا من الفرصة بمدد وتوجيه من الجنود الجنيين المناصرين واستخدام فنون السحر، لتنفيذ خططه وتكتيكاته واقترب خطوة فخطوة من القضاء على الأديان وإفساد الناس واستعراض سيطرته وهيمنته العالمية في الأرض.

وكان ابليس يدري أن نطاق عمله هو حتى يوم الوقت المعلوم. بحيث أبلغ

بذلك بعد طلبه من الله البقاء والدوام حتى يوم القيامة. وقال **ابليس** متوجها الى الله تعالى:

«قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ»[١]

وعن **وهب بن جميع مولى اسحاق بن عمار** قال:

سألت أبا عبدالله عليه السلام عن ابليس قوله: «قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ، إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» قال عليه السلام: «أتحسب انه يوم يبعث الله تعالى الناس؟ (لا) ولكن الله عز وجل انظره الى يوم يبعث الله عز وجل قائمنا فاذا بعث الله عز وجل قائمنا فيأخذ بناصيته ويضرب عنقه فذلك يوم الوقت المعلوم.»[٢]

وكانت شبكة اشرار بني‌اسرائيل، أول تنظيم بمكون إنساني تأسست في الأرض بتوجيه مباشر من ابليس وجنوده لكي تتدخل وتتصرف ضد المؤمنين بصورة ممنهجة مستمدة من العلوم الغريبة والجن الكفرة.

وكما أسلفنا، فان بني‌اسرائيل قدر لهم التيه لاربعين عاما، بعد إحجامهم عن التماشي مع النبي **موسى** عليه السلام ومحاربة العمالقة وفتح «القدس». وكان العمالقة يعيشون في تلك الفترة في منطقة «فلسطين».

وبعد أن عانى بنو اسرائيل من المرض والتيه والموت، طلبوا بعد رحيل النبي موسى عليه السلام العون والنجدة من وصيه **يوشع بن نون** عليه السلام. ودخل يوشع الساحة، وضرب الماء بالعصا، فانشق الماء وعبر بنو اسرائيل الماء وفتحوا القدس[٣] لكنهم راوحوا مكانهم مرة أخرى. ومالوا إلى هوى النفس، وتأخروا عن مواصلة المسيرة.

ورحل يوشع بن نون عليه السلام وأصبحت بدعة قتل الأنبياء سائدة لدى بني‌اسرائيل، وتحولت عبادة الشهوة واللهاث وراء الملذات إلى عادة معتادة لديهم، لكن النزعة

---

١. سورة الحجر، الآيات ٣٦-٣٨.

٢. **العياشي، محمد بن مسعود**، «تفسير العياشي»، ج ٢، ص ٢٦٢.

٣. «مجمع البيان»، جص ٢، ص ١٧٩؛ «الكامل في التاريخ»، **إبن الأثير**، ج ١، ص ٢٠٢.

العنصرية مثلت الصدمة والضربة الأقوى التي لحقت ببنية بني‌اسرائيل وحولتهم إلى جرثومة فساد قبال الأنبياء الالهيين والتعاليم الوحيانية.

وقد تحولت النظرة العالمية العنصرية، في الحقيقة إلى نظرة عامة لشبكة اشرار بني‌اسرائيل.

وكان مجمل العناية والدعم السماويين، للقيام بالمهمة الموكلة الى بني‌اسرائيل وديمومتها، رهنا بالوفاء بالعهود وتنفيذ تلك المهمة، لكن بني‌اسرائيل، نكثوا العهد مع الانبياء الالهيين، وأحجموا عن القيام بالمهمة، وبدلا عن ذلك، أصروا على هذا الظن والوهم من أنهم مختارون من قبل الله، وأنهم وعدوا بالملك الأرضي (الأرض المقدسة) بسبب تفوقهم العنصري، بينما كان هدف الله المتعال، إستتباب سيادة الدين في الأرض ومحو الشرك وعبادة الأوثان، فيما ظن بنو اسرائيل، بان **التفوق العنصري كان وراء كل هذا العطاء والرحمة الالهية**. ويقول الله تعالى بصراحة في «القرآن الكريم»:

«لَقَدْ أَخَذْنَا ميثَاقَ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ»[1]

وقد حقن **ابليس** جوهر فكره المتعنت غير الالهي في جسد اشرار اليهود، تلك العجرفة والعنجهية والأنانية التي أظهرها في فجر الخلق، وفي وقت مشاهدة خلق النبي **آدم**عليه السلام، فاعرض عنه من منطلق الحقد والحسد، وقال:

«قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ»[2]

وكان أشرار بني‌اسرائيل قد أشير إليهم في الحقيقة من قبل ابليس، للمساهمة في مشروع مسهب، ضد الله وضد الدين وضد الانبياء الالهيين، وبالتالي ضد الانسان، تجسيد لكل حقد وحسد ابليس، والذي ظهر اليوم كمادة الفساد

---

١. سورة المائدة، الآية ٧٠.

٢. سورة الأعراف، الآية ١٢.

والفكر الاستكباري، لدى هؤلاء القوم المدعين.

ومن هذا المنطلق، وضع تشكيل النظام الاستكباري في الأرض، على أجندة قادة بني‌اسرائيل بهدف ابتلاع العالم.

أنبياء بني‌اسرائيل في مواجهة أشرار بني‌اسرائيل

وقد وردت أقوال عديدة حول عدد أنبياء بني‌اسرائيل.

وعن أبي ذر الغفاري أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الكرسي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«والذى نفسى بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة.

قلت: يا رسول الله كم النبيون؟

قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبى.»

قلت: كم المرسلون منهم؟

قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا.»

قلت: من كان أول الأنبياء؟

قال: «آدم.»

قلت: أكان من الأنبياء مرسلا؟

قال: «نعم. خلق الله آدم بيده و نفخ فيه من روحه ثم سواه وكلمه قبلا ثم قال: يا أبا ذر ! أربعة من الأنبياء سريانيون: آدم و شيث و خنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم ونوح وأربعة من العرب: هود و صالح و شعيب و نبيک محمد وأول نبى من أنبياء بنى إسرائيل موسى و آخرهم عيسى وكان ستمائة نبى من انبياء بنى‌اسرائيل.»

قلت: يا رسول الله! كم أنزل الله من كتاب؟

قال: «مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة و أنزل على إبراهيم عشرين صحيفة وأنزل التوراة و الإنجيل و الزبور والفرقان.»

قلت: يا رسول الله! فما كانت صحف إبراهيم؟

قال: «كانت أمثالا كلها: أيها الملك المسلط المبتلى المغرور ! إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض و لكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فإنى لا أردها و لو كانت من كافر... [1]

ويرى علماء اليهود أن سبعة وأربعين نبيا بعثوا لقوم اسرائيل بعد النبى موسى عليه السلام وروجوا لشريعة نبى الله موسى عليه السلام وكان سبعة عشر منهم صاحب كتاب. وقد أشار القرآن الكريم إلى عدد من أنبياء بنى‌اسرائيل ممن جاؤوا بعد النبى موسى عليه السلام.

وكان أحدهم داوود عليه السلام صاحب الكتاب السماوى «الزبور»، وكذلك سليمان عليه السلام الذى تطرق القرآن الى شرح رسالته وملكه.

وقد ظهر الأنبياء الأولين فى عهد حكام (قضاة) بنى‌اسرائيل بنحو الف عام قبل الميلاد، ولقبوهم باللغة العبرية بـ«نبييم». وكان هؤلاء مثلهم مثل دراويش وعرفاء الشرق، أصحاب جاذبة ومؤمنين. وكان أنبياء بنى‌اسرائيل يتولى عدد منهم فى آن معا، رسالة هداية هؤلاء القوم وينتشرون فى المدن والقرى للدعوة، لكن «التوراة» أتت على ذكر أولئک الذين كانوا اصحاب رسالة وكتاب أو قام أنصارهم لاحقا بوضع كتاب [على هذا الترتيب]: يوشع بن نون، عاموس، هوشع، صموئيل، أشعياء، ارميا، إيليا ودانيال. وذكرت بعض الكتب أن عدد أنبياء بنى‌اسرائيل كان ثمانية وأربعين نبيا، ثمانية عشر منهم أصحاب كتاب. والنبيان الاخرى وهما إيشع والياس لم يكونا أصحاب كتاب.

---

١. **إبن بابويه، محمد بن علي**، «الخصال»، ترجمة **جعفري**، قم، نسيم كوثر، الطبعة الأولى، ١٣٨٢، ج ٢، ص ٢٩٧.

والأنبيـاء الذيـن كانوا أصحاب كتاب هم: موسـى، شـموئيل، بن القانا (واختار شـاؤول أو طالوت للملك)، عاموس، هوشع، بن بئرى، ميخا بن مورثين، يونس، أشـعياء بن عاموس، ناحوم بن القوشى، صيفا بن كوتى، حبقـوق النبى، ارمياء بن ملقياء النبى، حزقيال النبى، سـوال بن قتوائيل، عوبد ياتى النبى، دانيال النبى، حكى النبى، زكريا بن ارخيا وداوود النبى الذى كان صاحب كتاب «المزامير».»[١]

وطال أمد المواجهة بين الأنبياء وبني‌اسرائيل وواصل «تنظيم تراث السامري» حياته بشكل مؤذٍ. ومن بين أنبياء بني‌اسرائيل، وصل **داوود**عليه السلام وبعده **سليمان النبي** عليه السلام إلى مراتب عليا من السـلطنة والحكم. ومع ذلك، لم يكف بنو اسرائيل عن إيذاء النبي سليمان عليه السلام لدرجة أنهم أتهموه بالسحر والكفر.

«وَاتّبَعُوا مَا تَتْلُو الشّـيَاطِينُ عَلَى مُلْك سُـلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنّ الشّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلّمُونَ النّاسَ السّحْرَ...»[٢]

وقد نال النبي سـليمان عليه السلام حكما منقطع النظير وبنـى «الهيكل» في هذا الزمـان.[٣] ومع ذلك فان التنظيم الشـيطاني المنحرف، لم يكف عن الدسـائس والمكائد لانه اعتقد أنه لم ينل مبتغاه.

ويمكـن في كل موضع مـن مواضع التعاليـم التوراتية المحرفـة «التلمود» (TalmaUd) و «القبّالـة» (Kabbla) مشـاهدة مصاديق مادة الفسـاد والفكر الاستكباري (التفوق العنصري والتعصب العنصري)، بحيث جاء:

قلت أنكـم الأرباب وأبناء الرب الكبير. إنهض أيهـا الرب! (يا أبنائى!)

---

١. **مبلغـي ابادانـي، عبد الله**، «تاريخ أديـان ومذاهب العالم»، حرّ للنشـر، الطبعة الثانية، ١٣٧٦، ج ٢، صـص٦٥٧-٦٥٨.

٢. سورة البقرة، الآية ١٠٢.

٣. قامـوس «الكتاب المقدس»، ص ٩٣١؛ «تاريخ الطبـري»، ج ١، ص ٥٤٠. جدير ذكره أن جميع الانبياء الالهيين العظام، كانوا قد وضعوا على جدول أعمالهم وضمنوا رسالتهم، بناء المسجد والمحراب وتجنبوا ما أتت على ذكره التعاليم التوراتية تحت عنوان المعبد والهيكل.

واحكم فى الأرض، لانک ستستولى على جميع أمم العالم.[1]

لأنــک ليهوه، رب القوم المقدس، لقد اختارک يهوه، لتكون خاصا له من بين جميع الأمم على الارض.[2]

إن جيلک سيستولى على سائر الأمم.[3]

زوجوا بناتكم لولدانهم، ولا تزوجوا بناتهم لولدانكم ولانفسكم.[4]

وإســتنادا إلى آيــات من هذا القبيل والتي يمكن تبيانهــا بكثرة في المصادر المذكورة، يجب العثور على النشــأة الرئيســية لفكرة التفوق العنصري والشــعب المختار في هذه المصادر، وكما ورد:

إن أصغيتــم الان في الحقيقة إلى صوتــي، واحتفظتم بعهدي وميثاقي، تلك خزانتي الخاصة بي، ستكونون من جميع الشعوب، لان العالم برمته هو لي وأنتم لي، ستكونون مملكة عتيقة وأمة مقدسة.[5]

وكان بنو اســرائيل قد انزلقــوا في هذه الغفلة والظن مــن أان الميثاق والعهد الأولي هو من جانب واحد وملزم لله، ولا يترتب عليه أي شرط مسبق، مثلما أنهم يظنون حتى يومنا هذا أن بوســعهم نقض جميع العهود من جانب واحد وأن الله ملزم بالعناية بهم، في حين ان جميع نعم الله، رهن بصيانة وحماية الايمان والوفاء بالعهود والأعمال الحســنة، وأن الله تعالى، عليم ومستغنٍ على الإطلاق ولا عهد ولا ميثاق له مع جاحدي النعمة الظالمين والتابعين للشيطان.

---

١. المزامير، الباب ٨٢، الآيات ٦-٨.
٢. التثنية، الباب ٧، الآية ٦.
٣. أشعياء، الباب ٥٤، الآية ٣.
٤. نحميا، الباب ١٣، الآية ٢٥.
٥. سفر الخروج، الباب ٥، الآيات ٦-١٩.

عبادة بني‌اسرائيل للأوثان، المعابد ورموز بعل

وقد يكون هذا السؤال تبادر للأذهان:

لماذا اختار **السامري**، العجل، من بين أقسام الصور والتماثيل، لصناعة الصنم؟ ولِمَ لقي هذا العجل الذهبي إقبالا لدى بني‌اسرائيل؟

وقد ذكر انبياء بني‌اسرائيل بمن فيهم ارميا النبي عليه السلام إن عبادة عجل السامري يعد من أكثر الأخطاء التي لا تغتفر، واعتبروه سببا لنزول العذاب الإلهي على بني‌اسرائيل وواقعة هجوم نبوخذ نصر والسبي البابلي.

وكان عجل السامري، في الحقيقة وجها لصنم بعل الذي كانت تقدسه بعض شعوب «بين النهرين»، وتعبده.

وكان بعل يمثل عنوانا عاما لآلهة الشعوب السامية لاسيما قاطني بين النهرين وكان على هيئة ثور ذهبي مقدس.

وتقول «دائرة المعارف الاسلامية الكبرى» في هذا الخصوص:

إن هذه المفردة [بَعْل] التى تشاهد فى جميع تشعبات اللغات السامية ولكناتها، تعنى السيد والمالك. ومن وجهة نظر الشعوب السامية القديمة، فان أى ظاهرة طبيعية كانت تبدو مهمة وذات أثر فى حياتهم، كانت تتجسد، وكانت الروح الساكنة فيها، تعد بعلا أو مالكا، وكانت تكتسى حرمة أو قدسية. وبناء على ذلك، كان ثمة بعول كثيرة بعدد

الظواهر الأرضية والسماوية. وهذه البعول (بعليم) كانت تعتبر صاحبة الاشياء والأماكن باستثناء الديانات البابلية والاشورية حيث كان البعل مالكا وسيدا على الظاهر.

إن أسطورة البعل هى فى الحقيقة، مؤشر على تواصله مع الزراعة. وتغيب البعل كان يعنى تقارنه مع تناقص المطر وتهديد الموت، للأرض بالجفاف وأن حضوره مجددا، يؤشر إلى بدء التساقطات السماوية فى الشتاء والربيع لتخصيب الأرض، وصوت البعل الذى كان يسمع من بين شقوق السحاب، هو دوى الرعد.

إن وجود أسماء مثل اذربعل وأسد روبعل وأليان بعل وآنيت بعل وكذلك البعول الخاصة مثل ملكارت (إله المدينة) الذى كان الإله الخاص لمدينة «صور»، يحكى انتشار ورواج عبادة بعل فى مختلف مدن «فينيقيا» وتوابعها. كما أن وجود أسماء عديدة، مركبة من مفردة بعل فى كنعان، بما فيها بعل صفوان (إسم بعل الشمال) وبعل روش (بعل الجبل) وبعل سميم (بعل السماء) وكذلك أسماء آلهة الكنعانيين، بما فيها بعل بريث (رب العهد) و... ما شابهها، مؤشر على رواج عبادة بعل فى كنعان.

وبناء على معتقدات سكان كنعان، فان كل قطعة أرض، كانت ملكا

وإقطاعيــة لبعل خاص وخصوبتها، مدينة لوجود ذلک البعل. والعبرانيون الذين ســكنوا بعد الكنعانيين أرض كنعان وانهمكوا فى الزراعة، وتقليدا منهم للكنعانيين، إستعانوا بآلهة وأرباب تلک البلاد فى سبيل النجاح فى الزراعة والحصاد وزيادة المحصــول، واحتفظوا فى الوقت ذاته بإيمانهم ب «يهوه» إله بنى‌اسرائيل، وكانوا شأنهم شأن الكنعانيين، يشاركون فى إحتفالات الربيع والخريف، ويقدمون باكورة فواكههم وخرفانهم الصغار لبعل وزوجته ويحرقونها.

وكان كهنة بعل يخدعون الناس وينسبون الأمطار وخصوبة الأرض إلى بعل، ويمنعون العبرانيين من عبادة يهوه.

إن هــذه الأحوال وكذلک تطبيق طقوس عبــادة بعل والتى كانت تترافق أحيانا مع أعمال منافية للحشــمة والاخلاق، أدت إلى ظهور بنى‌اسرائيل وإصرارهم المســتمر علــى الإصلاحات الدينية. ومن بيــن هذه الجهود، يمكن الإشــارة بشكل بارز إلى المواعظ الحماسية ل ايليا النبى وبالتالى نضالاتــه ضد أنبيــاء بعل الزائفين ومــن ثم قتل ٤٥٠ منهــم.[١] وبالرغم مــن أن الناس توجهوا بصورة مؤقتة إلى عبــادة يهوه على إثر المواعظ والخطابات الحماسية ونضالات أنبياء بنى‌اسرائيل، لكن ديانة عبادة بعل، كانــت تحظى بتلک الجاذبية بحيث كانــت تظهر مجددا بعد كل إصلاح دينى إلى أن أفلت وزالت تدريحيا فى شــمال فلسطين مع زوال الملكية الشمالية وفى «يهودية» (الجنوب) مع انهيار ملكية الجنوب.[٢]

وعلاوة على العبرانيين، فان عبادة بعل انتشرت أيضا بين الكلدانيين والبابليين والاشــوريين والشــعوب الأخرى، بحيث أنهم كانوا يتلفظون مفردة «بعل» على شكل **بِعل** أو **بِل**، وفي «اليونان» **فيلوس** وفي «روما» **بيلوس**.

١. سفر الملوك الأول ١٨: ١٤-٤٤.

٢. «دائرة المعارف الاسلامية الكبرى»، ج ١٢، صص ٢٨٣-٢٨٤؛ ذيل مفردة بعل.

ويذكر كتاب «أثرياء اليهود والفرس» في تقديم بعل:

إن بعل هو مفهوم سامى قديم، ويعنى الإله الذى كان صنم العجل الذهبى أحد رمـوزه.[١] وكان مال الفينيقيين وارتباطهم التجارى الواسـع بارجاء منطقـة البحر الأبيض المتوسـط وشـبه الجزيرة العربية وسـورية وبين النهرين وايران، فى الشرق، سببا مهما للترويج لطقس عبادة بعل.

إن الوصف الذى روى عن «هيكل سـليمان» يظهـره وكأنه معبد رائع، حافل بالزخارف الذهبية وركب مَلاكان ذهبيان عظيمان فى محرابه.[٢]

وهذا الملاك ليس إلا عجل ذهبى مجنح يشـبه الحيوانات المجنحة التى نراها فى معلم «تخت جمشيد» (فى ايران). باسماء مثل ملكم وملكارت، وعثر على نماذج منها فى حفريات الاثار القديمة. وهذا هو طقس «عبادة العجـل الذهبى» الذى يطلق عليه فى الروايات الاسـلامية إسـم عجل السامرى.[٣]

وعلى الرغم من أنه يمكن مشاهدة الثور في آثار ومعالم الحضارات المختلفة، لكن الآثار والمعالم الموجودة في «تخت جمشـيد» (فـي ايران) والمتبقية عن عهد «الاخمينيين»، هو من نسل نفس الثيران التي كانت موجودة في بين النهرين ونقلت لاحقا إلى تخت جمشـيد، وهذا الثور المقدس هو «عجل السـامري» ليس إلا.

وتأسيسـا على كتاب «العهد العتيق» فان العبرانيين، كانوا يبنون مذبحا لحرق الذبائح فوق المعابد التي كانوا يشيدونها للبعول[٤] وبداخل كل معبد.[٥] وبقايا أحد هذه المعابد التي عثر عليها في حفريات فلسـطين، يظهر فناء يحتوي في وسطه

---

1. Judica/Vol.7,p.711.

٢. سفر الملوك الاول، ٦/٢٢-٢٨ وتواريخ الأيام، ٣/١٣-١٠.

٣. «أثرياء اليهود والفرس»، طهران، مؤسسة الدراسات والبحوث السياسية، ١٣٧٧، ج ١، صص ٣١٧-٣١٨.

٤. سفر العدد،، ٣٢:٤١؛ ارميا، ١٩:٥.

٥. تواريخ الأيام، ٢٣:١٧؛ كتاب الملوك الثاني، ١١:١٨؛ ارميا ١١:١٣.

على مذبحين لحرق الهدايا وعدة قطع من السلاح وجرة من الفخار، وصور برونزية وصورة لبعل وهو جالس.

الطقوس

ويفيد «العهد العتيق» أن العابدين في معابد بعل، كانوا يركعون أمام تمثاله، ويقبلونه.[١] وكانوا يصنعون لبعل أوانٍ من الذهب والفضة على الأرجح، ويضعونها في المعابد.[٢] وإضافة إلى إحراق البخور، كانوا يقدمون باكورة الفواكه والخرفان الصغيرة في المذابح، ويحرقون أبنائهم كقرابين لبعل.[٣]

وكان إشعال النار فى الأماكن المرتفعة لاسيما أثناء الليل، يمثل أحد طقوس عبادة بعل. كما كان عباد بعل، يجرحون أجسادهم بالموسى أو الرمح تقربا لبعل واسترضاء له، بحيث كانت الدماء تسيل من الجروح[٤]....[٥]

وكما يلاحظ، فان طقس عبادة بعل، سرى وجرى بين بني‌اسرائيل غداة مكر السامري، وحتى يومنا هذا حيث يتم ذبح واحراق جسد العجل في الهيكل الملفق، لدى «المسيحيين المتصهينين» و «اليهود الصهاينة» كأكبر غاية ومقدمة للتمهيد لدولة بني‌اسرائيل العالمية.

وماعدا ذلك، كان «آبيس» الثور المقدس في أساطير وآلهة المصريين القدامى، وكان يُعبد.

وكان «ثور آبيس» حسب معتقدات المصريين القدامى، ولد من دون أب، حيث قام ضوء القمر، بتحبيل أمه، وبعده ولد ثور آبيس. وكان هذا الثور، حسب

---

١. سفر الملوك الأول، ١٩:١٨.
٢. سفر الملوك الثاني، ٢٣:٤، الحكام، ٩:٤، هوشع، ٢:٨.
٣. ارميا، ١٩:٥، ٣٢:٣٥.
٤. سفر الملوك الأول ٢٨:١٨؛ البستاني ٥/٤٩٤.
٥. دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، ج ١٢، تحت اشراف كاظم بجنوردي، طهران، ١٣٨٣، مفردة بعل.

معتقـــد المصريين، مظهرا لإلهي «بتا» و «ايزيريـــس». وولد من مادة الثور الذي حمـــل من الصاعقة، وبعد وضعه حمله، كان على هـــذا العجل ألا يحبل. وكان لون هذه المادة، ثور أســـود، تقع بقعة مثلثة الشـــكل بيضاء على ناصيته وشكل عقاب في ظهره. وكانوا يحملون هذا الثور إلى معبد «ممفيس» بابتهاج وســـرور، ويعبدونه. وعندما كان يتجاوز الخامســـة والعشـــرين عاما، كانوا يغرقونه في الماء المقدس، ويحنطون جسده بإكرام، ويدفنونه في مدفن «سيرابيس» المقدس.

وفضلا عن ذلك، فان عامة سكان العالم القديم لاسيما سكنة «بين النهرين» كانوا يعرفون «الثور الذهبي المقدس». واستنادا إلى المصادر التوراتية:

وبعد يوشـــع بـــن نون عليه السلام وصى النبى موســـى عليه السلام تعرض بنواســـرائيل لفوضى عارمة «بحيث قام كل شخص بما كان يعجبه».[١]

والقبائـــل التى تعرضـــت للفرقة، لم تســـتطع الاتحاد فيمـــا بينها. لذلك فقـــد اضطرت للجـــوء الى الحلول الســـلمية، وأفضى ذلك إلـــى التقليد المشـــرك لدين جيرانهـــم وبتقاليده الشـــهوانية والممارســـات والتقاليد المنحطـــة الاخرى. وتخلى البعض عن عبادة يهوه ولجأ إلى عبادة البعول والاستارتات المحلية.[٢]

وبلا شـــك، فان سر إنخداع جماعة من بني‌اسرائيل، يعود إلى نواياهم وقلبهم ودرجة ايمانهم بشـــأن **موســـى النبي** عليه السلام ورسالته السماوية قبل أن يكون ناتجا عن عمل «صناعة العجل السامري». بحيث ورد في ميثاق وقسم ابليس اللعين:

«قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ»[٣]

إن أيـــا من المخصلين في الدين الإلهي وشـــريعة الانبياء الإلهيين العظام، لا يتعرضون لقرصنة ابليس وذلك بسبب امتلاكهم قلوب متينة وصادقة.

---

١. سفر الملوك، الباب ١٧، الآية ٦.

٢. ايزيدور ابستاين، «اليهودية ودراسة تاريخية»، ترجمة **بهزاد سالكي**، طهران، مؤسسة دراسات الحكمة والفلسفة الايرانية، ١٣٨٥، ص ٣٣.

٣. سورة ص، الآيتان ٨٢-٨٣.

ويقول الله تعالى في سورة البقرة:

«وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ من بَعْدِه وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ»[١]

ويعلن الله تعالى صراحة بان سر ميل بني‌اسرائيل نحو السامري، يكمن في «الكفر الكامن في قلوبهم»، وكان هذا الاختبار الذي تعرضوا له ليتضح مدى تناسق وتناغم ما يقولونه مع ما يكنونه في قلوبهم.

إن خروج بني‌اسرائيل عن نطاق العباد المخلصين، كان يعرضهم بالضرورة والتكوين، لإغواء وقرصنة ابليس وجنوده، لذلك جاءت «فتة السامري» بمنزلة اختبارا لقياس منسوب اخلاصهم ومدى «الكفر الكامن في قلوبهم».

وتفيد الروايات إن جميع بني‌اسرائيل ماعدا فرقتين منهم، سجدوا للعجل وتحولوا إلى عبادته، ولم يهتموا بأوامر هارون عليه السلام لعبادة الله. وانقسم بنو اسرائيل إلى إثنتي عشر فرقة، وكل فرقة كانت تضم نحو خمسين ألف شخص.

وقد شمل الله تعالى هاتين الفرقتين (اللتين لم تعبدا العجل) برحمته. وعاش هؤلاء بعيدا عن الاخرين، بجانب جبل «قاف» في نعمة ويسر.

١. سورة البقرة، الآيتان ٩٢-٩٣.

الثقافة المعبدية وأسباط بنيإسرائيل

وكانت الثقافة المعبدية، تكرم لدى بنيإسرائيل، أكثر تعصبا وتعنتا مما كانت عليه عند سائر الأمم. وربما يمكن القول أن هذه الثقافة، كانت بعد قرون وأعصار، أقوى الثقافات السائدة في رؤية وأداء وفعل بنيإسرائيل من بين جميع العلاقات والتعاملات الفردية والجماعية لهم. وفي الثقافة المعبدية اليهودية، فان تقليد تقديم القرابين، كان يحظى باهم موقع بين جميع التقاليد اليهودية، وبدور محوري في التوجهات العامة لليهود لسلوك مراتب السلطة والإمساك بنظام حكم المنطقة الشاملة.

إن أحد الشعائر المهمة التى كانت تنفذ فى تلة المقدسين الاسرائيليين، هو تقديم نيران الحاجة. وشاهدنا فى موضوع القرابين، كيف أن بنىإسرائيل، اقتبسوا هذا التقليد من الكنعانيين. وكانت شعائر القربان تقام على يد الكاهن، وكانت نيران الحاجة تقدم ليهوه بدلا من آلهة الكنعانيين. ويستشف من روايات «الكتاب المقدس» أن القرابين كانت تقدم فى عهد الملوك، حتى إلى الكثير من الآلهة القديمة بما فيها بعل واشرات ومولوخ وتموز و... . وفى هكذا مواقع، كان كهنة بعل وتموز ... قادرين بالتأكيد على تنفيذ آداب القربان باسم يهوه، وأن يتحولوا إلى كاهن يهوه بصورة غير مباشرة. وعندما شيد سليمان «معبد أورشليم» جلبت

مجموعة من هؤلاء الكهنة، تلة المقدسين إلى أورشليم لتأدية الشعائر المعبدية، لان هذا المعبد وشعائره، اقتبسا من الكنعانيين. وكان الكهنة القدامى لهذه المعابد، يؤدون واجبهم كخبراء تأدية الشعائر فى معبد سليمان. ويمكن اعتبار زدوک (صدوق) على الأرجح من أقوى النماذج البارزة لهؤلاء الكهنة الكنعانيين. وتمت الاشارة فى الكتاب المقدس إلى دور الكهانة الكنعانية بشكل غير مباشر.

وتشير رواية إلى طريقة انتخاب كاهن يهوه من بين كهنة الآلهة الاخرين. وشاهدنا سابقا فى رواية ٤١-٢٤/١٧ ش ٢، أن كهنة بابل كانوا يضطلعون بدور كاهن يهوه. وطبقا لهذه الرواية، فان البابليين كانوا ينتخبون من بينهم كهنة ليهوه من أجل إسداء الخدمة لإله الوطن، لان الشعائر المنشودة، يجب أن تقام على يد الكاهن الخبير، لاسيما وأن الكهانة فى القدم، كانت منصبا وراثيا تحتكره طبقة خاصة. وفى الديانة الزرادشتية، نشاهد ما يشبه هذا الأمر بالضبط، حيث كان يتحول الموغان الآرى إلى «بوليتيست» لرجال الدين الزرادشتيين.[١]

أسباط بني‌اسرائيل وكهانة لاوي

وذكرنا سلفا، أن **يعقوب النبي**عليه السلام رزق باثني عشر ابنا، عرفوا باسباط بني‌اسرائيل الاثني عشر. وينتسب قوم اليهود إلى **يهوذا**، رابع أبناء يعقوبعليه السلام، وكانت قبيلته إبان وفاة النبي يعقوبعليه السلام أكثر القبائل نفوسا.

واعتبر يهوذا رمزا للخيانة والنفاق من بين أبناء يعقوبعليه السلام، وهو الذي كان قد تواطأ ضد **يوسف**عليه السلام من جهة، وعرّف نفسه على أنه منقذ يوسفعليه السلام من جهة اخرى. وثمة فارق كبير بين «بني‌اسرائيل» و «اليهود» في «القرآن الكريم». ويطلق بنو اسرائيل على قوم نبي مثل النبي **موسى**عليه السلام، لكن مفردة

١. **اشتياني، جلال الدين**، «دراسة في الديانة اليهودية»، المصدر السابق، ص ٣٩٣.

اليهود، تعكس مفهوما متفاوتا، نشـأ من اليهود في القرون الميلادية الاولى. ورمز ذلك، اليهود الذين كانوا يقطنون العربية السعودية وكانوا يتعاطون الربا. ووصفوا في القـرآن الكريم، بانهم قوم طماعون وناكروا الجميل[1] ولا يمتون باي صلة للأنبياء الإلهيين. وقد أخفوا كتاب الله «التوراة»، وفضلوا الضلال على الهداية.

إن اليهـود، الذين ينتسـبون إلى يهوذا، هـم القوم الوحيـدون المتبقون من بني‌اسرائيل.

ويقول **جلال الدين اشـتياني** في كتابه «دراسة في الديانة اليهودية، في صفحتي ٣٩٥ و ٣٩٦ حول تاريخ كهانة بني‌اسرائيل:

إن أهـم واجـب كان يقع علـى عاتق الكاهـن والكتـاب المقدس، هو الإشـراف وتنفيذ طقوس تقديم القرابين. وذكر لاويو وكهنة بنى هارون فى الأقسـام المتعددة، بأنهـم منفذو القربان، وحتى أنـه يتم التأكيد فى اللاوى إن لم يذبح بنو اسـرائيل، قربانهم على يد الكاهن، وأمام الخيمة المقدسة، ويقدموا القربان فى موقع اخر، فانهم يعدون قتلة ويجب نبذهم من المجتمع بجريرة سـفك الدماء. ٤-١/١٧. لكن من جهة اخرى، فان الأب الذى كان يحظى بمقام رجل دين الأسرة بين المهاجرين والساميين البـدو، كان يتولى تنفيذ طقوس القربان، ويُستشـف من روايات الكتاب المقدس، بان الشـيوخ كانوا مكلفين إبان عهد الحكام، بتنفيذ هذه الآداب والتقاليد. ١/٤٦ آ، -/١٣ ق، ٦/٢٤ ق. ويمكن التكهن من خلال دراسة الروايات، أن الكهانة لم يكن لها وجود فى مجتمع بنى‌اسرائيل حتى قبل ظهور السلطنة.

ويـرى رينغرن أن الديانة الموسـوية إبان عهد الصحـراء، كانت تفتقد إلى رجال الدين والكهنـة، وهذا المنصب اقتبس فى كنعان. ويضيف أن

١. «وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ». سورة البقرة، الآية ٩٦.

تقريــر بنتاتويخ حول هارون واللاويين، يعكــس ظروف الزمان الأجدد. وتشــهد المصادر الأكثر قدما بان الأشخاص العاديين، قدموا الذبائح من دون تدخل الكاهن. ويخلص إلى أن جهاز الكهانة تبلور تدريجيا ويجب الإنتباه إلى أننا نواجه هنا طقوسا مدمجة ومركبة بشكل جلى... .

ويذهب فرويد إلى الإعتقاد بان طقوس المعبد والقربان والكهانة ... كانت عبارة عن شــعائر الســحر الذى عارضه موســى المصرى، ورفضه بشدة وقوة.

وقــد حددت «التوراة» مهنة رجل الدين علــى أنها تنتقل بالوراثة. وفى روايــة الحكام، تم الحديث بصورة غير محددة وللمرة الاولى عن أســرة لاويــة كانــت تخدم فى معبد ما فى دان، وكان يعبــد فيه تمثال ل يهوه. ٨١٨/٣ ق. لكــن الكهانة الموروثة تطرح فــى صموئيل، إذ اختار إلى[1] (عيلى) أبناءه لكهانة «شــليوه»[2] وجعل هذه المهنة موروثة فى أســرته ١/٣س ١، وينسب أبياتار الكاهن، داوود الى إلى وأسرته ٢/٢٧ ش١. بعبــارة أخــرى، فان الكهانة بدأت من إلى. وإبان عهد ســليمان، تم نفى ابياتــار وانتقلت الكهانة إلى أســرة زدوك (صــدوق) وبقيت فيها لنحو ألف عام.

والملفــت أنه فى أول رواية تتعلــق بالكهنة، يتم التطرق إلى فســادهم ورياءهم وشــرورهم. وكان أبناء إلى، ينهبون باســم رجال الدين أموال الناس وكانوا يســتغلون معتقدات الناس من خلال الكذب والمكر وحتى الزنــا والجريمــة ٢/١٢س ١. وإن أمعنــا النظر والتدقيــق فى الكتاب المقدس، ســنجد بان الكهانة تبلورت منذ عهد داوود على وجه التحديد، ولكن يمكن تكهن وجود كهانة قبل ذلك... .

1. Elli
2. Shilo

وفى عهد سليمان(عليه السلام) إنتمى تنظيم رجال الدين إلى البلاط فى ضوء بناء المعبد والبلاط بجانب بعضهما البعض، وأصبح المعبد إحدى المؤسسات التابعة للبلاط الملكى أصلا. ومع تعيين زدوك، فى منصب كبير الكهنة فى «اورشليم»، توثقت الصلة والعلاقة بين الكهانة والدين الحكومى، لانه يبدو أنه كان من سلالة الكهنة القدامى لمدينة «سالْم» والذين كانوا يقودون اورشليم قبل وصول داوود إليها... .

وكان الكهنة الأوائل يرتدون ملابس بسيطة، بينما كانوا يرتدون عباءة من الكتان أثناء تقديم القربان، ويطلقون عليها إسم «أوفد». وكان يتم إعداد وخياطة قميص من الكتان لصموئيل (شموئيل) الكاهن والقاضى الاسرائيلى الشهير سنويا على يد أمه، ليرتديه فى طقوس القربان ٢٢/١٨ س١. لكن أضيفت طقوس تدريجيا إلى بروتوكولات المعبد وترف الكهنة، وتم تزيين وزخرفة ملابسهم وأزيائهم... .

وكلما ازداد عدد الكهنة الموروثين، كلما توسعت ونمت تنظيماتهم وتقاليدهم وأنظمتهم. ووجدت حتى الارستوقراطية الدينية المكونة من كبير الكهنة ورؤساء الكهنة. وحتى أن رؤساء الكهنة كان مسموح لهم التواصل مع البلاط والزواج من الأميرات. وقد ورد ذكر هذه الزيجات فى الكتاب المقدس أيضا. وعلى أى حال، كان المعبد يدار طيلة عهد الملكية، تحت اشراف البلاط، وكان الكهنة يمتثلون لأوامر الملك.

وبعد النفى، حيث كان المجتمع اليهودى يفتقد إلى الحكومة، تولى رجال الدين، تسيير شؤون الدين وكانوا وسطاء يهوه وتحولوا إلى الملك الحقيقى لقومهم. ومعظم القوانين والأنظمة التى وضعت حول مهام الكهانة والطقوس المعبدية تعود إلى هذه الحقبة. وأهم اجراء لرجال الدين خلال العودة إلى أورشليم، تمثل فى سن قانون منع الزواج من غير اليهود وطرد الهجينين وتطليق النساء غير اليهوديات. وفى هذه

الفترة، قُسم الكهنة إلى ٢٤ فئة، وكانوا يمثلون ٢٤ أسرة تقريبا، ويرثون الكهانة. وكان يتعين على كل واحد من هذه الفئات ال٢٤ إيفاد مندوبين اسبوعيا إلى أورشليم لقيادة طقوس القربان والشعائر الدينية. وفضلا عن هؤلاء الكهنة، كانت ثمة مجموعة تضم عددا كبيرا من اللاويين وخدام المعبد يصل عددهم إلى عدة أضعاف الكهنة، وكانوا فى خدمة المعبد.

وكانت مهام وواجبات الكهنة بغيرذبح القربان، تتمثل فى إحراق الأقسام اللازمة وتقسيم لحوم الذبائح ورش الدماء فى المحراب (المذبح) والستارة المقدسة، وتوفير الإحتياجات الغذائية وحفظ ورعاية المحراب والمجمرة التى يجب أن تكون النيران مشتعلة فيها على الدوام، وتنظيم ورعاية طاولة رغيف البانيم، والمحافظة على الشمعدانات وطست الغسيل وباقى أوانى ووسائل المعبد، وتوفير الاحتياجات ودفوعات المؤمنين وتسلمها، وفحص المرضى المصابين بالجذام والبرص (إذ كانوا يمارسون طقوسا خاصة بهذا الشأن بدلا من علاجهم طبيا) وإبداء وجهات النظر حول الذنوب والخطايا لاسيما الزنا واتهام الرجل لزوجته من أنها غير عذراء وقد فضت بكارتها ... وفى حالة الضرورة، الإشراف على تطبيق عقوبة الرجم أو سائر العقوبات، وإبداء وجهات النظر بشأن الطهارة والنجاسة التى كانت تكتسى أهمية فائقة لدى اليهود وذات طابع طقوسى، وبالتالى النفخ فى الصور فى الأعياد الخاصة و... .

إن الأوامر التى صدرت حول واجبات وصلاحيات الكهنة، وردت معظمها فى كتب اللاويين وسفر العدد والقانون الثانى. وتضمن كتاب الميثاق ورواية الخروج إشارات تتعلق الكهنة.

وفيما يخص نصيب رجال الدين، وردت أوامر فى الكتاب المقدس بأشكال وأنماط مختلفة. لان القرابين الأولية كانت تنجز لنيران الحاجة وإيجاد الدخان المنشود وتوفير الراحة والطمأنينة لـيهوه، لذلك لم تكن

حصــة الكاهن من هذه القرابيــن كبيرة. ولا يبدو أنه تــم تحديد نصيب خــاص ل لاويانت من عائدات الاســرائيليين. وبعد النفى، حيث أشــرف كهنــة اليهود على كافــة القضايا الفكرية والاجتماعيــة لهؤلاء القوم، تم تحديد حصة لهم فى مجال الإنتاج وعوائد اليهود. وقد أوعز حزقيل النبى الكاهن اليهودى على لسان يهوه هكذا:

إن الكهنة مســموح لهــم، أكل الذبائــح والإحتياجــات الغذائية وقربان تقصيرى وذنبى، وكل حاجة يتم وقفها فى اسرائيل، ستكون متعلقة بهم.[١]

إن أفضل الإحتياجات التى تســتحدث من المحاصيل والأبناء البكر وكل ما يجــب تقديمه كزكاة، متعلــق بالكاهن. كما يجــب أن تعطوا الكاهن من أفضل ما تصنعونه مــن حلوى لكى يجلبوا البركة والرحمة لبيوتكم. ٤٤/٢٩ حز.

وهــذا أوضــح وأجلى أمــر يكلف اليهود بحزم وحســم، لقبــول الكهنة كطفيليين، وإشباعهم باسم يهوه ووساطته، لينالوا الرحمة والبركة. وطبعا هذه الهدايا هى غير زكاة المال الذى يتعين على كل يهودى دفعها لرجال الدين. ٢٥-١٨/٢١ نومرى.[٢]

ورثة السامري

وقد انتقل مجمل ميراث السامري واسلافه (السحرة وكهنة معابد الفراعنة) إلى كهنة المعبد واشــرار بني‌اســرائيل والذين باعوا دينهم بدنياهم، لكي يستمر تيار «قبيلة اللعنة» الشيطاني في الارض، ويتم ضمن اختبار عصيب، اختبار وامتحان جميع خلق العالم في خضم فتنة بني‌اسرائيل، وتمييز الخط النوراني لقبيلة «صبغة الله» عن قبيلة اللعنة.

---

١. وكما يشــاهد، فان نيران الحاجة لم تكن ذات طابع عام في هذه الحقبة. وكانوا يحرقون جزء من القربان وهو أليته لايجاد رائحة ذكية على المذبح، والبقية كانت من نصيب الكهنة.

٢. **اشتياني، جلال الدين**، «دراسة في الديانة اليهودية»، صص ٣٩٧-٤٠١.

إن كلام الانبيـــاء الالهيين الذي ينطوي على التحـــرر والتخلص، لم يؤثر في الزمن الأصم والاعمى على بني بنياسرائيل العنيدين واللاهثين وراء الدنيا.

وحســـب المصادر التاريخية، فان الثقافة المعبديـــة التي كانت تكرم على يد كهنة المعبـــد، نابعة من التقاليد والطقوس المعبدية للأمم العابدة للأوثان قبل أن تمت بصلة للحقائق الدينية والتعاليم الموسوية.

ويقول الأستاذ **جلال الدين اشتياني** حول تسرب ديانة كهنة المعابد لدى «قوم اسرائيل»:

إن القبائـــل والعشـــائر الايبرية، التى أوجدت قوم اســـرائيل، كانت وقبل الدخول إلى كنعان، تفتقد إلى المعبد والآداب والتقاليد المعبدية الخاصة والدين الشـــعائرى والطقوســـى، وكما يستشـــف من مختلف الروايات، فانها وبعد دخلوها إلى كنعان، تقبلت شـــيئا فشيئا شعائر البيئة المتحضرة والمتمدنـــة، وكما تم شـــرحه، اتخذت من الثقافة المعبديـــة لهذه الديار، مثالا ونموذجا. وكانت هذه القبائل تعبد حتى آلهة الكنعانيين باسم يهوه، وتطلق اسم عبادة يهوه على طقوس عبادة بعل واشرات وإل و... وكانت المعابـــد القديمة لبعـــل وإل والتـــلال الكنعانية المقدســـة تمثل أماكنهم المقدسة.

وتمت فى الكتاب المقدس الإشـــارة بصورة غير مباشرة إلى دور الكهانة الكنعانية.

ونظرا إلى هذا الشـــرح وتقارير الكتـــاب المقدس، يمكن وبترجيح أقرب إلـــى اليقين، إعتبـــار الكهنة الكنعانيين بانهم أجـــداد ورواد رجال الدين الاســـرائيليين. ويســـمى رجل الدين الموظف بالعبرية «كوهن». ويذهب معظم الباحثين إلى الإعتقاد بان هذا الإســـم اقتبس من الكنعانيين. وكان كبير القساوســـة يســـمى فى كنعان «راوكُهنيم» ويتولى الإشـــراف على آداب وتقاليـــد القربـــان والطقـــوس المعبدية فضلا عن ممارســـته التنبؤ

والتفـؤل والسـؤال من إلـه المعبد. وكانوا يسـمون رئيـس الكهنة ب «كوهن هاروش» وكبير الكهنة بـ«كوهن غادول» و مساعدة ب «كوهن ميشنة»... .

... وبالرغـم من أن التوراة جاءت على ذكر الكهنة، وحتى أنها أسـهبت على لسان موسى عليه السلام فى شرح أزيائهم وزخارفهم ورسومهم وواجباتهم، لكـن المؤكد أن هذه الروايات، وضعت بلا إسـتثناء بعـد عهد الملكية لاسيما بشأن القضايا المتعلقة بالكهانة بعد النفى.[1]

وبعـد النفى، لـم يكن هناك معبد حتـى برهة من الزمـن، وكان اليهود يتجمعون فى مواقع أطلقوا عليها إسـم «سـيناغوغ» للدعـاء والإبتهال وقراءة القانون (التوراة). وتعنى سـيناغوغ باليونانية، بيت الإجتماع، فيما يسـمى بالعبرية «الكنيس» و «بيت – ها – كنسـت» ويعنى المصطلح الثانى بيت الإجتماع. وكانت الكنسـت وفضلا عـن كونه بيتا للاجتماع يضم موقعا لتعليم التوراة بما يشبه المدرسة وكان يطلق عليه إسم «بيت – ها– ميدرش» أو بيت التعليم والتربية.

وبما أن اليهود كانوا يعتبرون «معبد اورشليم» «بيت الله» فحسب، فكانوا يـرون أن القربان مختص بهذا المعبـد، ولم تكن طقوس القربان تنفذ فى الكنسـت. وعندما تمت إعادة بناء معبد اورشـليم، كانت تتم فيه طقوس القربان ونيران الحاجة حتى تهديمه بالكامل عام ۷۰ للميلاد، لكن الكُنُس كانت تتوسع فى ارجاء «دياسبورا» وحتى فى «فلسطين».[2]

وقـد تدنس اليهود فى عصر النفى، بمعصية الشـرك، ولجأوا إلى عبادة الأوثان. واستفاد الكهنة من هذا الأمر كثيرا:

وقد تعلموا عبادة بعل سـفون[3] من المصريين، والذى كان يظهر حسـبما

---

۱. «دراسة في الديانة اليهودية»، المصدر السابق، صص ۳۹۲-۳۹۳.

۲. المصدر السابق، ص ٤٠٣.

3. Beelsephon

تقول الروايـات، على هيئة حصان تارة وهيئة كلـب تارة أخرى وذلك حسب القوانين الفلكية. واليهود الذين إنبهروا بنساء سيتيم[١] أثناء الخروج كانوا يقدمون القرابين بتهور لصنم بعل فيغور[٢] وصنم العامونيين[٣] الذين كانوا يعيشون بين الصخور والحفر.

ويقول مؤلف كتاب «تاريخ السحر» فى تقديمه للأصنام التى كان يعبدها «بنو اسرائيل»:

لقد كان اليهود يعبدون داغون[٤] إله الفلسطينيين، والذى كان نصفه إمرأة ونصفه سـمكة. وقد صنـع تمثال هذا الإله من البرونـز على هيئة إمرأة جميلة جدا، تملك ذيلا على شـكل ذيل سمكة ضخمة وذلك على غرار دركتو[٥] وديركه[٦] إلهتا السريان فى عسقلان.[٧]

وكانوا يعبدون أيضا إلهة بابل، سـوك كتى بنوتى[٨] والتى كانت حسبما تقول الأساطير، على هيئة دجاجة مع صوصها.

وكان «اسيما»[٩] إله الاماتبت على هيئة عنزة، واتاملك على هيئة حصان، ونرغال السامريين على شكل ديك.

وكان تمثـال بعلزبـوت، يصنـع فـى «أكارون» علـى شـكل برغوثـة، وأسـتدعاه آحـاب ملـك اسـرائيل عبثـا لعـلاج مرضـه. لكـن أكثر الآلهة ترويعـا ومخافة كان «مولـوخ»[١٠] آكل الأطفال وهو إلـه العامونيين. وكان مولـوخ الوثن الوحيد الذى لـم يملك معبدا فى

1. Sittim
2. Beelphegon
٣. عاموني Ammonite الأناس الذين كانوا يقطنون شرق الاردن بين «يبوك» و «ارنون».
4. Dagon
5. Derecto
6. Dirce
٧. إسم مدينة تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط في فلسطين المحتلة.
8. Succoth Benoth
9. Assima
10. Moloch

اورشليم، فيما كان الوادى المجاور لاورشليم، مقر بنى هيوم، مكانا لنصب تمثاله الحديدى، والذى كان يدعو أتباعه للضلال والشرّ ويستلذ من قدرهم الآيل إلى الهلاك. وقد أخذت مفردة مولوخ من مفردة ملك العبرية. وكانت طقوس عبادته تقام بهدف طلب السلامة والصحة وطول العمر للملك.[1]

ويقول مؤرخ «قصة الحضارة» **ويل ديورانت** في هذا الخصوص:

وبعد أن نفى اليهود من وطنهم، فان ثروة الكهنة ازدادت مع تنامى المجتمع اليهودى الجديد، وبما أن هؤلاء الناس استفادوا من هذه الثروة المقدسة بصورة صحيحة وجدوا واجتهدوا فى الحفاظ عليها وصيانتها، أصبح كهنة اليهود فى خاتمة المطاف أكثر قوة وسطوة من الملوك شأنهم فى ذلك شأن كهنة طيورة وبابل.

ومع ذلك، فان تزايد قوة الكهنة ورواج التربية الدينية، لم يكن كافيا لتحرير عقل العبرانيين من براثن الخرافة والأوهام وعبادة الأوثان. وكانت قمم التلال والغابات والأحراش، مرقدا للآلهة الأجانب ومشهدا للآداب والطقوس الدينية الخفية، وكانت أقلية من الناس تسجد للصخور المقدسة أو يعبدون بعل واستارته، أو يرجمون بالغيب على طريقة البابليين، أو يقيمون أصناما ويحرقون الأبخرة لها، أو كانوا يعبدون العجل الذهبى، أو يعقدون جلسات واحتفالات لعبادة الأوثان فى الهيكل، أو يرغمون أولادهم على المرور بين النار، كشكل من أشكال القربان، وحتى أن بعض الملوك بمن فيهم «سليمان»[2] **و «آحاب» كانوا يتملقون للآلهة الأجانب. إن رجالا صلحاء مثل «ايليا» و «اليشع» ورغم أنهم لم يبلغوا مقام الكهانة، كانوا يدعون الناس على الدوام للتخلى عن هذه العادات**

١. كلسرخي، ايرج، «تاريخ السحر»، المصدر السابق، ج ١، صص ٦١-٦٢.

٢. وقد اعتبر **ويل ديورانت سليمان النبي**عليه السلام ملكا، وذلك من خلال استناده إلى التعاليم والمصادر الموجودة لدى اليهود والمؤرخين الذين اعتمدوا هذه المصادر لكتابة التاريخ.

والتقاليد، وكانوا بصدد دعوة الناس لاتباعهم والسير على خطاهم والاخذ بهم إلـى الطريق القويم. وفى خضم هذه الاوضـاع والاحوال وعلى إثر تفشـى الفقر والفاقة بين الناس واستغلالهم فى اسرائيل، ظهر رجال كبار فى الديانة اليهودية، وهم مجموعة الأنبياء الغيارى لبنىاسرائيل.[١]

وقـد ثار جميع الأنبيـاء الصادقين والاصيلين لبنياسـرائيل ضد رجال الدين المعبدبين وكهنة المعابد. على سـبيل المثال، نشـير إلى عـدة نماذج من هذه التحذيرات التي أطلقت بشـان الطقوس المعبدية وشملت رجال دين بنياسرائيل والحكام والكهنة:

ويقول **عاموس** في فصل «العبادة الحقيقية على لسان يهوه»:

إنى أكره احتفالاتكـم، وأحقرها، ولا أطيق أعيادكم. وعندما تجلبون لى نيـران الحاجة، لا أرغب فى هداياكم، وحتى لا أميل للنظر إلى قرابينكم. تباً لضجيج أناشـيدك. لا أرغب للسـماع إلى لحن موسيقاك، بل أود أن يصبـح الحق كماء جار وتصبـح العدالة كالنهر الذى لا ينضب أبدا. وهل كنتم خلال السنوات الأربعين من السير فى الصحراء، تجلبون لى القرابين أو بعض الإحتياجات؟ أنتم أيها المنتمين إلى بيت اسرائيل؟![٢] **٥/٢١.**

وفي حلم، يسمع عاموس صوت يهوه الذي يقول له:

حطم رؤوس أعمدة المعبد لكى تهتز جميع الأعمدة. إنى سـأحطم دماغ جميع هؤلاء (المعبديين) ومى سـيتبقى منهم سأقلته بالسيف... وسيشيد يهوه قاعاته فى السماء ويقيم سقفه على الأرض. /٩.

ويقول **هوشع**[٣] في مقدمة فصل «المحكمة» ضد الكهنة:

إصغوا كلام يهوه يا بنىاسرائيل، بحيث أن يهوى يقيم دعوى ضد سكان هذه البلاد!

---

١. **ويل ديورانت**، «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ج ١، صص ٣٦٧-٣٦٨.

٢. ولا يمكن التأكيد صراحة أكثر من هذا على أن هذه الطقوس لم تكن موجودة في عهد الصحراء وديانة موسى.

٣. **هوشع – هوشياي بن بئيري** (هوزآ). وكان هوشيا إبن مزارع من قبيلة افرايم.

ويقول يهوه: لا يوجد الحب والوفاء فى هذه البلاد ولا أثر لمعرفة الله فيها. وقد انتشر السباب والخداع والجريمة والسرقة والزنا ويحصل سفك دماء بعد سفك دماء. ومن هنا فان هذه البلاد يجب ان تجفّ وأن يذبل كل من يعيش فيها، مع مجمل حيوانات الصحراء... لكن المتهم الحقيقى، ليس شخصا غير معروف ولا يتم شماتة الكل، بل أنا أدينک أنت أيها الكاهن! وستقع فى الفخ فى النهار وسأدمر وأبيد أمک أيضا. ۵-۴/۱.

ويمكن من خلال كلام **يوشع** هذا معرفة أن الخطيئة الرئيسية يرتكبها القائمون على تنشئة الناس ويكونون دينهم ومعتقداتهم. إن يهوه سيحاسب جميع المذنبين والفاسدين، لكنه يلعن في مقدمة الجميع، المذنب الحقيقي الذي تسبب بهذا الإنحراف والفساد. إن إدامة كلام **هوشيا**، توضح هذه الحقيقة. ونظرا إلى هذه الصراحة، تتضح العلاقة بين الأنبياء الشعبيين، والكهانة المعبدية خاصة الشعائر والطقوس التي فرضوها على دين **موسى**عليه السلام، وبالتالي فانهم قاموا بإلهاء الناس بالقرابين ونيران الحاجة والطقوس والإحتفالات و... بدلا من حثهم على العمل الصالح وعبادة الله. ويقول هوشيا في كلامه نقلا عن يهوه:

إن قومى يفنون، لأنهم لا يملكون معرفة، لانک سرقت معرفتهم، لذلک فانى ساخلعک من منصب الكهانة. لقد نسيت أوامر الإله. لذلک فانى سأنسى أولادک.[1] وكلما ازداد عددكم، يتسع نطاق الذنوب والمعاصى وتحول شرفكم إلى عار وخزى. إنكم تتغذون على خطايا وذنوب قومى وحريصون على القرابين التافهة... .

إن الشراب والذبيحة يسرقان عقل القوم، ويلجأون إلى الأوثان الخشبية المصطنعة على ايديهم وينتظرون من عصاها الوعى والإطلاع ... وهكذا تتحول بناتكم إلى مومسات، وتزنى زوجات أولادكم. لكنى لن أعاقب بناتكم لتحولهن إلى مومسات، ولن أعاقب زوجات أولادكم لانهن

---

۱. والمقصود من أولاد الكهنة أعضاء تنظيم رجال الدين والكهانة.

يزنين، لان الكهنة يتماشون مع المومسات، ويحتلفون بالعرائس المقدسة (المومسات المقدسة للمعبد) بالقربان، ويتهاوى القوم الجهلة بواسطة هذه الأفعـال. لا تأتوا نحو غليغال ولا تذهبوا نحو «بيت أون»[١] ولا تقسـموا باسـم يهوه... إن عاصفة ستحطمهم (الكهنة) باجنحتها، وسيبادون بخزى وعار، بسبب مذبحهم ومحرابهم (محرابهم المخزى). ١٩- ٤/٦.

أيها الكهنة! إصغوا واسمعوا، وأنتهم أيها الاسرائيليون تحلوا بالدقة، ويا أصحـاب البلاط إصغوا بدقة، لانكم حماة القانون والحق، لكنكم تحولتم إلى فخ لقومكم فى «ميزبا» وشبكة نشرت فى «تابور» وحفرة عميقة فى «شيتيم»[٢] لكنى سأعاقبكم. -/٥.

ويقول يهوه إنى أريد العشـق والمحبـة، لا القربان، وأطلب المعرفة بالله، لا نيران الحاجة. ٦/٦ (شكيم). إنهم يمارسون القتل والجريمة. نعم إنهم يقترفون أعمالا مخزية، لقد شاهدت فى «بيت إل» أشياء فظيعة منهم. ٦/٩.

لقد أقـام أفرايم العديد من المحاريب للصفح عـن ذنوبه. لكن محاريبه تحولت إلى معصية. إنى استطيع وضع قوانين كثيرة لها، لكن هذه القوانين تنفعها بقدر ما تنفع رجلا غريبا. إنهم يحبون القرابين والذبائح كثيرا. إنهم ينذرون اللحوم ويأكلون منها، لكن يهوه لا يحب هذه الذبائح. ٨/١١.

وكلما ازداد عدد الاسـرائيليين، كلما زادوا من ذبائحهم فى المحاريب... لكن يهوه سيحطم محاريبهم، ويهدم مصطباتهم. ١٠/١.

إزرعـوا العدل، فان المحبـة والرأفة والحق سيشـملكم. إبحثوا عن الله، وسيأتى إليكم.

لكنكم زرعتم الشـناعة، ولذلك حصدتم الجريمة، وأكلتم ثمرة الكذب

---

١. ويسـتخدم «بيت أون» بـدلا من «بيت إل»، ويعني بيت الدعارة. والمقصـود أن بيت الله تحول إلى بيت الفساد.

٢. إن «ميزبا» و «شيتيم» هما مكانان مقدسان و«تابور» جبل شاهق وشهير.

وأصبتم بالتعاسة.[۱]

ويشـــهد التاريخ، أن كهنة المعابد وقفوا لفترة لردح من الزمن باسم الدين والله، في مواجهة الأنبياء الالهيين وأوصيائهم، بصورة علنية، ونشـــروا بالتواطؤ مع ابليس وسائر الشياطين من الجن والإنس، «التلبيس» وروجوا بين المستضعفين لتعاليمهم الانحرافيـــة تحـــت عناوين خادعة وبراقة بما فيها «العرفـــان» والتواصل مع عوالم الغيب، واستفادوا من ذلك. وبذلك فانهم استنزفوا وحرّفوا كل نبوة وكل ديانة وأمة.

وقد حُرِّفت الديانة الموســـوية لـ**كليم اللّـــه**عليه السلام قبل ۳۴۰۰ عام، متاثرة بالتيار الإنحرافـــي والكابالا المعبديـــة. وأصيب الهنـــود أيضا بانـــواع التعاليم المحرفة والشـــيطانية، مثلما أن ديانة الايرانيين القديمة «جاماسب» (المجوسي) اندثرت عن مشـــهد الحياة الحقيقية قبل نحو ۲۶۰۰ عام لكي تمضي قدما بطقوســـها الشيطانية وثقافتها المعبدية المحرفة.

وقد تبرأ الانبياء الالهيين العظام كل في عصره، من الكهانة والطقوس المعبدية، واعتبروهـــا ذنبا كبيـــرا وكفرا، وحـــذروا أتباعهم من كل ذلك بمصـــداق «**الكاهن كالكافر**».[۲]

وكان **ابليس** بوصفه مطلعا وشـــارعا وشارحا لطقوس وتقاليد الكفر، يعلم جيدا أنه سيكون من خلال تدريب الكهنة على التنسك والتعبد غير الشرعي قادرا على أيصـــال أنصاره لدى الناس منزلة يعتبرون فيها خطأ، الكهنة بانهم مصداق للأناس الورعين والعارفين بالله والمتمكنين من الوصول إلى أسرار الغيب.

وتأسيســـا على الإذن العام، فان الله تعالى أفســـح لجميع عباده مجال العمل والإختبار ليميزوا باختيار ووعي، مســـار الحق عن الباطل، ويتحركوا صوب الحق. إن هذا الاختيار وساحة العمل، تنطوي بحد ذاتها على الإبتلاء والإمتحان. السنة التي يطبقها على جميع الأناس وســـائر الكائنات صاحبـــة الإختيار، أي الجنّ،

---

۱. «دراسة في الديانة اليهودية»، المصدر السابق، صص ۴۰۵-۴۰۷.

۲. **المجلســـي، محمد باقر**، «بحار الأنوار»، بيـــروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ۱۴۰۳هـ .ق.، ج ۳۳، ص ۳۴۷.

ليتمم الحجة على الجميع، بحيث أنه جعل الحجج الباطنية (العقل) والظاهرية (الأنبياء والأوصياء) للانسان، لرفده للوصول وسلوك المسار السماوي الحقيقي.

إن معاجز الأنبياء التي تتحقق بإذن الله، تشكل بحد ذاتها دليلا وحجة لإثبات أحقيتهم وفضح الكهنة الذي كانوا يستغلون القوى الشيطانية واتباع مسار التنسك النفساني تارة، لقرصنة الناس وتقديم أنفسهم على أنهم في مستوى الأنبياء. إن هؤلاء في الحقيقة كانوا يوحون بالممارسات الشيطانية للكهانة على أنها الكرامة.

إن «التلبيس» الذي لجأ اليه ابليس، قدم الكهنة الكفرة على أنهم أكثر المؤمنين ايمانا وأكثرهم من بلغ المراتب المعرفية العليا.

إن الإنتباه إلى هذا المعنى، ضروري لانه تم في كتاب «التوراة» وهو الكتاب الذي نحوز اليوم على نسخة محرفة منه، تقديم مفردة الكاهن تارة على أنها تنطوي على مفهوم إيجابي، بحيث أنه يقدم **هارون**عليه السلام على أنه كاهن معبد.

ومثلما أن **ابليس** سعى عن طريق «التلبيس» لخلط وخبط جميع الأمور على عباد الله، يعمل ايضا لمصادر هذا المقام وحتى مفردة الكاهن على اثر الإختراق التدريجي على يد أتباعه، وتحويل الكهنة المزورين والمدنسين بالسحر وحب الدنيا، إلى الخدام الحميمين ومتولي الشؤون الدينية والمدعين الذي يتساوون مع الأنبياء وينافسون الأنبياء.

«إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ»[1]

١. سورة الأعراف، الآية ٣٠.

جلاء بابل

وفـــي الأعوام بين ٦٢٥ و ٥٨٠ قبل الميلاد هبت فجأة عاصفة هوجاء من ناحية الشـــمال، من أرض «بابل»، وتقدمت ســـريعا واجتاحت مجمل أراضي اليهود، فدمرت أورشـــليم وأوقعت بني‌اسرائيل في الأسر، ليصبحوا على مدى سبعين عاما من التعاسة، عبرة ودرسا للخلق الله.

وهذه الواقعة الجسيمة، لم تحدث بغتة. فسنوات قبل أن تدمر القصور وتهدم المعابد، وتنســـف منازل بني‌اسرائيل على رؤوسهم، أنتخب **ارميا النبي**عليه السلام ليكون اللســـان البليغ لله، الســـوط الذي إن كان قد تم دركه، لكان ينقذ أكثر قوما في التاريخ عنادا ولجاجا، من البؤس والشقاء الدائمين.

وكانـــت بابـــل مدينة عريقة وأثرية تقـــع في بلاد ما بين النهريـــن، تلك البلاد التي اضطر النبي **ابراهيـــم**عليه السلام لمغادرتها بعد واقعة إلقائه في النار على يد نمرود، والهجرة منها إلى حران. وبعد زهاء ٩٧٧ عاما مضت على رحيل النبي موسىعليه السلام أصبح نبوخذنصر ملكا لبابل. وقد اجتاح **نبوخذ نصر** «أورشـــليم» التي كان يطمع بها عسكريا وأبقى على اليهود في الأسر البابلي لمدة ٧٠ عاما.

ويقول **حسين توفيقي** في كتابه «التعرف على الديانات الكبرى» حول الهجومين اللذين شنا على منطقتين تخضعان لبني‌اسرائيل:

وعلى أى حال، فقد تحققت نبوءات أنبياء بنى‌اسـرائيل،[١] وبعد فترة، شن الاشوريون الذين كانوا يحكمون فى شمال بابل والعراق وسورية الحالية، ويتخذون من «نينوى» حاضرة لهم، هجوما على اسـرائيل، وأسروا عددا غفيرا مـن أهاليها. وبعد عدة أعوام، اجتاح نبوخذ نصر أورشـليم، وقتل اليهود وأسر عددا منهم ونقلهم إلى بابل ومكثوا فيها لردح من الزمن.

إن وقوع أهالى اسـرائيل ويهوذا فى الأسر، تسبب بتشتتهم وتبعثرهم فى الشـرق الاوسـط والبلاد الاخرى. وهذا الاسر إكتسى أهمية خاصة، لان مجموعة من أهل اسـرائيل ممن أعفوا فى الإجتياح السـابق الذى شـنه الاشـوريون، من الأسـر، نقلوا فى هذا الهجوم مع سكان يهوذا إلى بابل. وهذه القضية تعرف بـ«جلاء بابل».

وقد قبل اليهود إبان الأسـر، ببعض آداب وتقاليد المشركين، وقلما كان منهم من يعانى من الجلاء عن الوطن والاسر وصعوبة عبادة الله.

ويجب الإنتباه إلى أن الإسـتئثار والتفرد بالسلطة والإنبهار بالذات يمثل الطبع والخلق اللذين لا يفترقان عن قوم اليهود، بينما دخلت سائر شعوب العالـم وكردة فعل لها على هـذه النعوت، فى خصومة وصراع مع اليهود وبادرت إلى إزدرائهم. وربما سبب تدمير مدينة «القدس» للمرة الاولى ووقوع بنى‌اسرائيل فى قبضة البابليين بنحو ستة قرون قبل الميلاد، يعود إلى ذلك. وكان ارميا النبى قد جاء برسالة من جانب الله المتعال، مفادها أن بنى‌اسـرائيل لا يجب أن يقاومـوا ذلك العدو. لكنهم لم يأخذوا بهذه الرسـالة وزجوا بهذا النبى فى السجن. وبعد سقوط مدينة القدس، أفرج عن ارميا.[٢] (التوراة، كتاب ارميا، ١٤:٣٩)[٣]

إن عهد أسـر ونفي بني‌اسـرائيل في بابل، أدى إلى وقوع تطورات في الديانة

١. وهذا الموضوع قائم على أساس الرؤى الكلامية، وليس واضحا التاريخ الحتمي للتنبؤات.

2. Jeremiah

٣. **توفيقي، حسين**، «التعرف على الديانات الكبرى»، المصدر السابق، صص ٨٩-٩١.

اليهودية وبني‌اسرائيل. فقد جربوا فترة مشحونة بالصعوبات والإيذاء، لكن أكثر ما كان يؤلمهم هو ابتعادهم عن معبد اورشليم الكبير. وكانوا في الحقيقة قد انفصلوا في فترة الأسر عن مركزهم الديني. ومع ذلك، كانوا يقيمون جلسات للدعاء والعبادة في منازلهم بعيدا عن أعين الحكام. وقد مهدت هذه الجلسات لتأسيس «كنيس اليهود» فيما بعد.

جدير ذكره، أنه وقبل إجتياح الاشوريين لاسرائيل، كانت هذه المملكة فى الشمال، تضم عشر قبائل شمالية، فيما كانت مملكة يهوذا فى الجنوب، تضم قبيلتى يهوذا وبنيامين، وكانت قبيلة أفرايم[1] تمثل أهم قبائل الشمال.

وقد انفصلت المملكتان اليهوديتان عن إحداهما الاخرى. وعمرت مملكة اسرائيل مائتى عام تقريبا، فيما استمرت مملكة يهوذا لثلاثمائة وخمسين عاما. وكانت كلتا المملكتين، تواجهان اضطرابات وأزمات على الدوام. وتفوقت مملكة اسرائيل على مملكة يهوذا من حيث المساحة والقوة، لكنها لم تملك حاضرة ومعبدا يرقى إلى «اورشليم» و «المسجد الاقصى»... وكانت يهوذا مملكة صغيرة، لكنها كانت تضم على أراضيها اورشليم والمسجد الأقصى، وكان ملوكها من ذرية داوود عليه السلام.

واشتهر بعض ملوك يهوذا، بمن فيهم حزقياه (حزقيال) بالتدين لكن أخرين لم يروا أى غضاضة فى السماح لعبادات الاخرين فى اورشليم. وكانت مملكة يهوذا تتعرض بداية للتهديد من مصر. وقد نُهبت أورشليم ذات مرة فى ٩٢٥ قبل الميلاد، وتحولت «يهوذية» إلى ساحة للحرب والقتال بين «مصر» و«اشور»، ودخلت جيوش اشور، أورشليم وأرغمت ملوكها على دفع الخراج. ولم يسهم تدمير «نينوى» فى نجاة أورشليم، لان نبوخذ نصر ملك بابل كان قد استولى على اورشليم، ودمرها (٥٨٦

1. Ephraim

ق.م.) وأسـر اليهود ونقلهم إلى بابل. ومكث اليهود هناك سـبعين عاما إلى أن سـمح لهم كـوروش ملك «ايران» بالعودة إلى اورشـليم وبناء معبدهم من جديد.[١]

وعندما فتح كوروش (أى الشـمس) مؤسس السلالة الإخمينية، «بابل»، تحرر اليهود وسمح لهم بالعودة إلى موطنهم، لكن العديد منهم لم يرغبوا بمغادرة بابل وانتشـروا فيها ومشـارفها. وصدر اعـلان كوروش حول تحرر اليهود نحو عام ٥٣٨ قبل الميلاد. واكتسـب كوروش بهذا شـعبية واسـعة بين اليهود. وعاد جمع من اليهود إلى «فلسطين» واهتموا باعادة بنـاء القدس. وفى تلك الحقبة، أخذ جيران هذه البلاد يشـعرون بالخطر وحالوا دون قيام دولة يهودية قوية فى فلسطين. وبعدها قامت حكومات ضعيفة فى مناطق مختلفة من فلسطين، إلى أن دمرت مدينة القدس للمرة الثانيـة وبعد عدة قرون من الاضطرابات والقلاقل، على يد الروم ما أدى إلى تفرق وتشـتت اليهود فى العالم. ومذاك، أمضى اليهود حياة عصيبة فى البلدان الأجنبية، وقاسوا أنواع الذل والمسكنة والهوان.[٢]

إن ما يسـتحق التأمل في أسرار سنوات أسر بني‌اسرائيل في بابل وتبعثرهم في سـائر الأوطان، هو إختلاط وتدنس معتقداتهم وأخلاقهم بتعاليم واداب وتقاليد سائر الشعوب، الأمر الذي أشير إليه في خطاب القسم لارميا عليه السلام.

لقـد حاول الأنبياء ومعهم الكهنة وكتبة المزاميـر والحكماء على امتداد الأجيال والأنسـال المتعاقبة، للترويج لتعاليم التوراة وكسب بيعة ووفاء النـاس تجـاه تعاليمه، لكـن محاولاتهم ذهبت سـدى. إن بنى‌اسـرائيل الذين إنجذبوا لأنماط حياة الأمم الاخرى ودياناتهم المثيرة للنفسـانيات والأخلاقيات المتسمة بالأنانية، بقوا على تمردهم، ولم يكترثوا بنصائحهم

١. **البر ماله**، «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، صص ١١٢-١١٣.
٢. **توفيقي، حسين**، «التعرف على الديانات الكبرى»، المصدر السابق، صص ٨٩-٩١.

وتوصياتهم. ومن ثم جاءت حقبة النفى فى بابل.[١]

ويقول مؤلف كتاب «دراسة في الديانة اليهودية» بشأن اتساع نطاق وانتشار التقاليد المشركة في مملكتي اسرائيل ويهوذا:

وقبل الأسر البابلى، لم يكن ثمة فارق يذكر بين عبادة يهوه وباقى الأديان العابدة للأوثان فى مملكتى اسرائيل ويودا [يهوذا]، وكان يتم تنفيذ نفس شعائر وطقوس وتقاليد المشركين تحت مسمى يهوه. وحتى كانت تشاهد آثار الأصنام المختلفة فى معابدهم.[٢]

وفى ضوء هكذا ظروف وأوضاع، جاء هجوم نبوخذ نصر البابلى، ليحول بغتة حياة اليهود العصيبة والحرجة إلى مائجة ومتمورة.

إن واقعة الأسر والنفى البابليين، نزلا على بنىاسرائيل كوقع الصاعقة. فقد وجد هؤلاء فجأه أنفسهم محاصرين بدوامة البلاء والعذاب. وفى هذه الظروف الحافلة بالعقاب والقنوط والإحباط، رضخ الناس لنصائح وتوجيهات حزقيال النبى الذى حفزهم وشجعهم ببشائر البركات المعنوية والوعد بالعودة بل أنه سعى لإحياء أهمية التوراة لرفاهيتهم وسعادتهم الفردية والقومية فى أذهانهم. وبعد حزقيال، ظهرت سلسلة طويلة من المعلمين والمدربين المعروفين بالكتبة[٣] **الذين اكتسبت التوراة فى ظل هدايتهم، منزلة جوهرية فى الحياة الدينية للناس. وقد حلت المدرسة محل المعبد، والمعلم أو الكاتب محل الكاهن المسؤول عن مراسم القربان. وفى هذه الفترة، وضع الحجر الأساس للكنيسة**[٤] **التى كانت تلبى مطالب واحتياجات المنفيين من خلال عقد الإجتماعات المنتظمة لتعليمهم وعبادتهم الجماعية.**[٥]

---

١. **ايزيدور ابساين**، «اليهودية ودراسة تاريخية»، المصدر السابق، ص ٩١.

٢. **اشتياني**، جلال الدين، المصدر السابق، ص ٢٦٣.

3. Soferim

4. Zerubabol

٥. **ايزيدور ابساين**، المصدر السابق، ص ٩٢.

ويذهب بعض الباحثين إلى الإعتقاد أن الشـــعور بالذنب قد يكون وراء تعزيز المبـــادئ الاخلاقية بين الاســـرى والمنفيين، لانهم كانوا يؤمنون بان هذا الأســـر والنفـــي، هو عقاب للآثـــام التي اقترفوها في الماضي، وأن يهوه عاقبهم بســـبب ذنبهم الكبير، أي عبادة الأوثان وممارســـة السحر. وألم يكن الأنبياء العبريون قد نبهوا وحذروا الناس من أن أرضا مقدسة أخرى لا تحتمل المعاصي والذنبو، وهي ستنبذ وتطرد سكانها الكفرة؟

ولم يكن قليلا عدد الأنبياء الذين كانوا ينبهون بني‌اسرائيل بحلول عصر النكد والتعاسة والتشـــرد. إن صفحات التوراة الحالية ورغم تعرضها للتغيرات والتبدلات على مرّ القرون المتمادية، مليئة بالنصائح التي أسداها هؤلاء الأنبياء لكنها بقيت حبرا على ورق.

وفي هذا الخضم، فان خطاب القسم لا**رميا النبي**عليه السلام يتجلى أكثر من نصائح ونبوءات سائر الأنبياء.

يا أورشليم! إلى متى تريدين أن تبقين غير طاهرة؟!

إن **ارميا النبي**عليه السلام ذلك الرسول الجليل، كان لسانه وكتابه مليئان باكثر المراثي حماسة وأكثرالتنبيهات والتحذيرات السماوية صراحة والتي انطلقت عندما كان بنو اسرائيل ينزلقون في منحدر السقوط، ويتهيأون لتجربة أكثر العواصف الآتية من ناحية الشمال، إيلاما، حيث كان البابليون الحقودون والساخطون يتجهزون للإنطلاق والحركة.

وفي خضم تلك السنين، وعلى إثر الفساد والضياع اللذين طالا الساحات العقائدية والأخلاقية والعملية لبني اسرائيل، كان الكهنة والمتشدقون بالنبوة والناس، قد انخرطوا في السحر وعبادة الأوثان والربا والزنا و... لدرجة أنهم لم يستحقوا عقابا سوى نزول العذاب وتعرضهم للجلد السماوي، ومع ذلك، اختار الله، ارميا الناصح لينبههم قبل أن ينزل العذاب عليهم ويدعوهم للعودة والإنابة.

وحذارا! فان كل ما جرى لبني اسرائيل في ذلك العصر، يمكن أن يتكرر في أي عصر وزمان. إن سنن الله المتعال، تسري وتجري في جميع العصور، على جميع أنسال بني آدم، بغض النظر عن تباين الأوجه التاريخية، إنها ثوابت وسنن لا تبديل فيها، أكان البشر يعرفونها أم لا. وهذه القواعد والثوابت، أدق من جميع قوانين الفيزياء التي تحكم العناصر المادية. ومن هذا المنطلق، فان التذكار والإنذار والبشرى التي يطلقها الأنبياء الالهيون، ستجدها إن لم يخترقها ويتسرب

إليها التحريف، نضرة تستحق التأمل والقراءة.

وربما آن أوان أن يعود جميع أبناء البشرية، لاسيما أبناء **يهوذا**، ثانية إلى الحقبة الكائنة بين ٥٨٠ إلى ٦٢٥ قبل الميلاد، ليعيدوا قراءة عبارات **ارميا النبي**عليه السلام، وأن يثوبوا إلى رشدهم ويستعيدوا عقلهم وصوابهم قبل أن تهب عليهم عاصفة هوجاء.

حذارا! لان طوفانا عاتيا، قد هب هذه المرة، لا من الشمال، إنما من الجنوب (الحجـــاز)، ليطوي وإلى الأبد ملف وحياة الناكرين الذين صموا آذانهم على كل نصح وتنبيه.

«وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُون»

تحذيرات النبي ارميا عليه السلام

لقد انتخب ارميا النبي عليه السلام مثله مثل ســـائر الرسل الالهيين، ليكون آية وصوتا من قبل الله تعالى. لذلك، كان موضع خطاب هذا النداء السماوي:

[يا ارميا] لقد اخترك قبل أن تنشـــأ فـــى رحم أمك، واخترك وعينتك قبل أن تبصر النور، لتكون مبلغ رسالتى بين الناس فى العالم! (١: ٤-٥)[1]

ويعـــد كتاب «المراثي» من أجزاء العهد العتيـــق وكتوبيم في التناخ اليهودي، نســـبت كتابته إلى ارميا عليه السلام نبي بني‌اسرائيل منذ الماضي البعيد. وهو الذي رسم جميع ما شـــاهده عن تدمير «اورشليم» ووقوع بني‌اســـرائيل في الأسر بيد **نبوخذ نصر** البابلي.

وهذا الكتاب وضـــع بين عامي ٥١٦ و ٥٨٦ قبل الميلاد. ومجمل الكتاب وضع على هيئة شعر عبري، وقد ترجمه، مترجمو العهد العتيق، إلى اللغة الفارسية بلغة أدبية ممتعة وجذابة.

ويقوم اليوم بعض اليهود، بقراءة «كتاب المراثي» يوم التاســـع من شهر آب،

---

١. لقـــد أخذت عبارات كتاب ارميا من النســـخة الالكترونية للكتاب المقـــدس المندرج في E.book في الموقع الالكتروني لـ«مكتبة تاريخنا» على العنوان: www.//pdf.tarikhema.org/?p=296 بجهود آني كازظمي.

تاريخ هدم «هيكل سليمان» بجانب «حائط المبكى» وبصوت عالٍ.

ويندرج «المراثي» في الصف الخامس والعشرين، من سلسلة كتب «العهد القديم للكتاب المقدس»، ويعد تأسيسا على التصنيفات اليهودية المتطابقة مع النسخة العبرية، جزء من الكتابات. والعنوان العبري للكتاب هو «Ekah» أي «كيف...!».[1]

يندرج كتاب ارميا، ضمن فئة الكتب الصغيرة للكتاب المقدس، وهو على هيئة أدعية ونظم في خمسة أبواب. ويكتسي هذا الكتاب أهمية من ناحية الآداب والتقاليد العبادية ل»كنيسة الروم الكاثوليك»، ويُتلى في ثلاثة ايام من الاسبوع المقدس.[2]

وكانت الحجج الالهية مجتبى ومصطفى في مجملها لكي تقوم بمنأى عن أي شائبة بتوجيه قطيع الله إلى مرعى المحبة والصداقة الآمن، وترويها من النبع الالهي الزلال.

وعندما وجد ارميا عليه السلام نفسه أنه مخاطب من لدن السماء، مثله مثل سائر الأنبياء الالهيين، إعتبر أن كاهله لا يقدر على حمل مسؤولية النبوة الجسيمة، وأعلن من أعماق القلب:

إلهى! لا أقدر على هذا! لانى شاب فى مقتبل العمر ولا خبرة لى! (۶:۱)

ومرة أخرى، إنطلق النداء السماوي الرخيم:

يا ارميا! لا تقل هذا! لانک ستذهب إلى حيث أرسلک وستفعل ما أقوله لک. لا تخشى الناس، لانى معک وأحميک... والان وضعت كلامى فى فمک. ومنذ اليوم تبدأ رسالتک.

ويجب عليک أن تحذر الأمم والحكومات وتقول بأنى سأقضى على بعضهم وأمحيهم من الوجود، وأبقى على البعض الاخر، وسادعمهم

---

۱. **محمديان، بهرام**، «دائرة معارف الكتاب المقدس»، طهران، سرخدار، الطبعة الاولى، ۱۳۸۱، ص ۲۱۲.
۲. المصدر السابق، ص ۲۱۳.

وأساندهم. (١١-١٠)

إن الخلود أو الفناء! لاي كائن كان وحيثما حصلا، يكشفان عن سر تقليدي دائم. وتتجلى إرادة الله المتعال بشان جميع الذين يسيرون في الأرض حسب مشيئته أو يتمردون عليه وبعصونه، وبالتالي وفي ظل السنة الثابتة المتمثلة في القضاء على المسيئين، فانهم سيزولون عن الوجود ويبقى الأوفياء ويخلدون، مثلما أن هذا الكلام نزل بوضوح في الخطاب الذي نودي به **ارميا**عليه السلام:

والان إنهض واستعد وبلّغهم بما أقوله.

لا تخشاهم! وإلا فانى سأفعل ما يجعلك تضطرب أمامهم وينتابك الرعب. إنى أجعلك اليوم مقاوما أمامهم كالمدينة ذات الأبراج والعمود الحديدى والجدار النحاسى، لتقف بوجه جميع أفراد هذه البلاد، بوجه ملوك يهوذا والأعاظم والكهنة وجميع الناس. إنهم سيدخلون فى نزال معك، لكنهم لن يجنوا شيئا، لانى الله، معك وسأخلصك. (١:١٧-١٩)

وينهض ارميا النبي عليه السلام هذه المرة من دون أي حجة وذريعة، راسخا وصلبا، ويعقد العزم لنبذ كل الخوف والرعب من قلبه، ويضع كما في سنة وسيرة جميع الانبياء الالهيين، ثقل المسؤولية على كاهله ليدعو الناس في كل موقع وموضع وينبههم ويذكرهم وينذرهم.

إن ما يقوم به ارميا عليه السلام كخطوة اولى لتطبيق مهمته في إطار النبوة هو تنبيه وتذكير بني‌اسرائيل بالنعم الالهية والبركات التي اغدقها الله عليهم لسنوات مديدة من دون أي مقابل، وكأن هذه العبارة القرآنية الممتعة التي نتلوها:

«فبأىّ آلاءِ رَبكما تكذّبان»[1]

ويتحدث ارميا على لسان الله متوجها إلى بني‌اسرائيل، مثل الأب العطوف الذي يتحدث إلى أبنائه:

أتذكر الماضى، عندما كنتِ عريسة للتو! وفى تلك الأيام، كم كنتِ

١. الآية المباركة التي تكررت مرارا في سورة الرحمن.

مشـــتاقة لتحظى بإعجابى! وكم كنتِ تحبيننى! وحتى كنتِ ترافقيننى فى الصحارى الجافة والقاحلة. يا اســـرائيل! لقد كنت فى تلكَ الأيام، قومى المقدســـين وابنى البكر. وإن كان أحد يؤذيك، كنت اســـتهجنه، وأرميه ببـــلاء عصيب. يا قوم اســـرائيل! لِمَ تخلى عنى آباؤكـــم؟ وبماذا قصرت معهم حتـــى يعرضوا عنى ويصابوا بالحمق ويلجـــأوا إلى عبادة الأوثان، بحيث أنهم نســـوا، أنا من أنقذهم من مصر وقدتهم فى الصحارى الجافة والحارقـــة وآزرتهم فى عبور المواقع الخطـــرة المليئة بالحفر والأراضى الســـبخة المميتـــة. ومن الأماكن المهجورة التى لا يمـــر عليها أحد حتى، وأتيت بهم إلى أرض خصبة لينعموا بثمارها وبركاتها، لكنهم أفســـدوها ولوثوها بالمعاصى ودنسوا التراث بالشرور. وحتى أن كهنتهم لم يكونوا يفكـــروا بى ولم يعتن ملوكهم بى. فقد ثار ملوكهم ضدى وعبد أنبياؤهم [كهنتهم] صنم بعل وأهدروا عمرهم بالأعمال التافهة. (٢: ١–٨)

ويعتبر **ارميا**عليه السلام، مجمل نكران بني‌اســـرائيل للجميل والعرفان، وتجاهل النعم والتجرؤ على الفساد والآثام، والإنزلاق في براثن الشرّ وإنكار الله المتعال وبالتالي عبـــادة الأوثان، بانها تندرج في فئة الخطايا التي لا تغتفر للأناس الآثمين وينبههم بصراحة ويظهر لهم في الوقت ذاته، لطف الله وعنايته وأحضانه المفتوحة في الأيام المتبقية، عسى أن يتوبوا ويعودوا إلى قطيع الله كالعنزة التي انفصلت عنه.

ويذكّر ارميا النبيعليه السلام، بني‌اسرائيل، بأفعال وعاقبة القوم من عبدة الأوثان على أمل أن يعودوا إلى صوابهم ورشدهم ويندموا على أفعالهم السيئة، وأن يتوسلوا مرة أخرى إلى الله ويقول:

أنظـــروا إلى البلاد التى فى حواليكم! فهل بوســـعكم أن تجدوا قوما فى مكان ما، استبدلوا آلهتهم بآلهة جديدة، بالرغم من أن آلهتهم ليست آلهة فى مطلق الأحوال؟! أرســـلوا جماعة إلى جزيرة قبرص فى الغرب وإلى صحراء قيدار، فى الشـــرق وأنظروا، هل وقع هناك هكذا حادث غريب؟

لكــن قومى أعرضوا عن الإله الذى رفع من قدرهم ولجأوا إلى الأصنام عديمــة الروح. إن المرء ليحتار من هكهــذا أفعال، وترتعد أوصاله، لان قومــى أرتكبوا خطائين، الأول، أنهم أقلعــوا عنى بوصفى نبع ماء الحياة والثانى أنهم انصرفوا وصنعوا لأنفســهم أحواضا مكســورة لا تســتطيع تخزين الماء فيها. (٢: ١٠-١٣)

إن رســالة ارميا عليه السلام تتلخص في التذكير بالنعم السابقة واللاحقة لله المتعال، ومواهبه الســخية لقوم دخلوا من باب الصــراع والعداء مع ربهم، ويمنون عليه في كل خطوة يخطوها، وإخبارهم بالعذاب الأليم.

إن قصة بني‌اســرائيل، هي قصة جميع الأمم، قصة الانســان وجحوده للنعم. وكأن المرء، يجسد هذه العبارة بذاته:

«فانَّ الإنسانَ كَفور»[1]

إن قصة ارميا، هي قصة جميع الأنبياء والرســل الذين يحرصون أشد الحرص على تذكير الأمم بالنعم، والعذاب الذي هو ليس ســوى مردود فعل تلك الأمم، عسى أن يدرك المرء، أن الله تعالى ينزل كل جلاله وقهره وأيضا كل عطائه ومواهبه وإتمام الحجة بغتة، لانه غني حكيم.

ويبيّن ارميا عليه السلام كل طيش بني‌اسرائيل الذين انغمسوا الان في وحل الإستبداد، وذلــك من خلال العبــارات التي يســتحقها في الحقيقــة كل الجاحدين للنعم والناكرين للجميل، عســى أن يعي كل سكنة «أورشــليم» ويندمون على فعلتهم الشنيعة، ويتوجهون إلى الباري عزوجل. ويقول على لسان الله:

عندما أردت أن أغرســك كشجيرة، أخترت بدقة تامة أفضل بزرة. إذن ماذا حصل أن تحولت إلى شتلة فاسدة وعديمة الجدوى؟ إنک لن تتطهر مهما اغتسلت. لقد تدنست بذنب من المستحيل تطهيره. إن ذنبک سيبدو لى على الدوام».

---

١. سورة الشورى، الآية ٤٨.

وكيف تستطيع القول بانك لم تنحرف ولم تعبد الوثن؟ أيتها الناقة الهائجة التى تبحثين عن زوج لك! أنظرى إلى جميع سهول بلادك، وانتبهى إلى أخطائك واعترفى بآثامك المروعة! إنك مثل حمار الزرد الذى تجره شهوته إلى الصحراء ولا أحد قادر على إيقافه. وكل حمار زرد ذكر يريد الحصول عليك من دون جهد ومعاناة، فانك ترتمين فى أحضانه. لمَ لا تقلعى عن كل هذا اللهاث المرهق وراء الأوثان؟ وتقولى جوابا على ذلك: كلا، لا أستطيع العودة. لقد وقعت فى غرام هذه الأوثان الغريبة ولن أتمالك الإقلاع عن حبها. (٢: ٢١-٢٥)

إن الفساد المستشري بين كهنة ومعلمي بني‌اسرائيل، الذين كانوا مكلفين بحمايتهم وحراستهم، دفع بني‌اسرائيل للإنغماس في وحل الذنوب، وفتح عليهم أبواب الجحيم، وكأن فرصة للعودة لم تتبق.

إن بني‌اسرائيل، ارتكبوا في ضوء ما اصطنعه الكهنة والمعلمون من شرعية، ظلما هائلا، فالسجود للأصنام المصرية وعبادة وثن بعل، لم تكن بالواقعة التي يمكن المرور عليها مرّ الكرام.

وكان النبي **موسى كليم الله**عليه السلام وفي زمن ليس ببعيد، قد أنقذ بني‌اسرائيل، من شبح البلاء والكوارث، من «مصر» ومن بين المعاصي وعبدة بعل، وأخذ بيدهم إلى سهل العبادة والطاعة الزاخر بالنضرة، لكن وا أسفاه، وكأن كل ما كان قد أنجزه ذهب هباء منثورا، وتناثر كل النتاج على يد رياح الفساد والأنانية والإستبداد.

ويرى **ارميا**عليه السلام، أن كل العقاب الذي طال بني‌اسرائيل، ناتج عن شرورهم وظلمهم الذي لا يغتفر، ونكهث العهد الذي كان يتعين على الجميع التمسك به، لكنهم لم يفوا به!

إن لقومى قلبا متمردا وطاغيا. لقد طغوا وتركونى، ولم يحترمونني، بالرغم من أنى أسبغت عليهم المطر فى الربيع والخريف، وحددت لهم فصل الزرع والحصاد. ولهذا السبب، سلبت منهم هذه البركات الطيبة. إن

ذنوبهم، حرمتهم من جميع هذه المواهب والعطاء.
وثمة أشخاص مسيئون بين قومى، يقومون كالصيادين بنصب الكمائن للإنقضاض على الفريسة، فهم ينصبون الأفخاخ للإنسان أيضا. وكما يملأ الصياد، قفصه بالطيور، فان هؤلاء كانوا يملأون بيوتهم بمخططات الخداع والنهب والسلب. ولذلك، فانهم أصبحوا الان أثرياء وأقوياء. فيأكلون جيدا ويلبسون جيدا، ولا حدود لسلوكهم الردئ، فلا يمدون يد العون والمساعدة لليتامى، ولا يؤدون للفقراء حقهم. لذلك فانى سأعاقبهم وسأثر من هؤلاء القوم!
لقد طرأ طارئ غريب وعجيب فى هذه البلاد. فالأنبياء يرسلون رسائل زائفة، ويتصرف الكهنة بناء على أقوالهم. إن قومى راضون عن هذا الوضع، لكن إعلموا، أنه لم يتبق شئ على فنائكم. وحينها ماذا ستفعلون؟ (٥ :٢٣-٣١)

ويرى **ارميا النبي**عليه السلام أن كل بني اسرائيل، صغيرهم وكبيرهم، قاصيهم ودانيهم، شركاء في المصير الكارثي الذي ينتظرهم، حتى أولئك الذين، يغلقون أعينهم ويصمون آذانهم على الجور الذي يمارسه الحكام ومن يسوغ لهم ذلك من رجال المعبد والكهنة، ومن يلوذون بالصمت إزاء ما يمارس ضد المظلومين وفوق ذلك يبدون رضاهم عنه.

ووا أسفاه! فان الجميع سيجربون العذاب الأليم عندما يهوي سوط الغضب السماوي.

لقد تفشى وانتشر الفساد والإنحلال، في جميع الطبقات الداخلية لبني اسرائيل، بحيث أحرق وبدد كل مواهبهم ومجمل القدرات التي كان ينتظر يوما أن توصلهم بفضل العناية الالهية إلى قمة العزة والشموخ الخالدين. وكأن جميع أحلام وآمال ومجمل المجالات الكفيلة بتطهير وإعادة تأهيل قوم وصلوا إلى أرض اللبن والعسل، قد تبددت، ونسوا كل ماضيهم. وربما يريد **ارميا**عليه السلام القول:

«إنّ الإنْسانَ لَيَطْغى أن رَآه اسْتَغْنى»[1]

إن كلام ارميا عليه السلام الملئ بالألم والوجع، يبادر إلى الذهن كل الحسرات والآمال الزراعية المتبخرة، بحيث أنه يرى أن كل ما أنتجه من محصو قد احترق وفنا. ويتوجه ارميا عليه السلام على لسان الله، إلى بني‌اسرائيل ويقول:

كنت أود أن أسكن هنا مع أبنائى. كنت أنوى أن أمنحكم هذه الأرض الخصبة التى لا مثيل لها فى العالم. كنت أتوقع أن تنادوننى أيها الأب، ولم أكن أتصور أن تعرضوا عنى مرة أخرى، لكنكم قمتم بخيانتى وابتعدتم عنى، والتحقتم بالأوثان الغريبة. إنكم كالمرأة غير الوفية التى تركت زوجها.

ويُسمع أنين البكاء والنحيب من الجبال، وهذا هو صوت نحيب بنى‌اسرائيل الذين أعرضوا عن الله وتاهوا فى الأرض! أيها الأبناء العاصين وغير الصالحين! عودوا إلى الله ليشفيكم من إنعدام الإيمان. (٣: ١٩-٢١)

وكان النبي ارميا عليه السلام يسمع أنين نحيب بني‌اسرائيل من على بعد، وقبل أن يقتلع السيل العارم، أساس القوم المهاجمين من الجبال الشمالية.

وفى ذلک الزمان، فان الله سيرسل عليهم من الصحراء ريحا ساخنة، ريح لطيفة لتنظف شوائب الحصاد، بل عاصفة عاتية. وبذلک فان الله يعلن هلاک قومه.

أنظر! إن العدو يأتى كالسحاب نحونا. إن عرباته تشبه الزوابع وخيوله أسرع من النسر. تباً لنا! لاننا تعرضنا للنهب والسلب. وكما أن المزارعين يحيطون بمزرعة ما، فان العدو سيحاصر مدينة أورشليم، لان قومى تمردوا علىّ. يا يهوذا! إن هذه المآسى هى نتيجة سلوکک وأفعالک! إن عقابک قاس ويخترق قلبک كالسيف. (٤: ١١-١٨)

ويعتبر **ارميا النبي** عليه السلام، انتشار الكذب على نطاق واسع وإضفاء الرسمية على

---

١. سورة العلق، الآيتان ٦-٧.

العصيان والتمرد، طوفانا شـــاملا يأتي فجأة على بني‌اسرائيل من صغيرهم وكبيرهم وشابهم وشيخهم، وينتزع منهم إمكانية أي ردة فعل.

وكأن قومـــا، يبرمون عقد الأخوة على الكذب والزيف، ويثورون في إتحاد غير مقدس على كل صدق واستقامة. فيعرض الله المتعال عنهم، لكي يتحولوا من دون مانع ورادع إلى طعمة للذئاب المفترسة.

وتنهـــار الجدران والقلاع المحصنة التي تحمي الأمـــم عندما تنكث العهود وتصبح الأمانة في مهب الريح.

ويقول الله، فتشوا كل أزقة اورشليم. وقفوا عند مفترقات الطرق. وابحثوا كل مكان جيدا! فان وجدتم حتى شخصا واحدا منصفا ومستقيما فى عمله وســلوكه، فلن أبيد هذه المدينة!... ولهذا الســبب فان الأسود المفترسة فى الغابات، ســتلتهمهم. وســتهاجمهم ذئاب الصحراء، وستنصب النمور، الكمائــن فــى أطراف مدنهم لتمــزق كل من يخرج منها إربــاً إربا، لان ذنوبهم تجاوزت الحد، وأعرضوا عن الله مرارا وتكرارا. (٥: ١-٦)

ويشـــير ارميا وعلى لســـان الله، وفي حيرة وذهول إلـــى ضلال قومه، وحكمة اللقالق وطيور الفاختة والســـنونو لبحث وكشف الســـبل والعودة وينبه بني‌اسرائيل إلى ذلك، وكذلك جهلهم لكونهم يسجدون باسم الله والتوراة، في معبد الشيطان ولكهنة السحر! وينسب الذنب الأكبر إلى معلمي القوم ويقول:

كيف تقولون أنكم علماء وحكماء وتعرفون قوانينى، فى حين أن معلميكم قد غيروها لتعطى معنى اخر؟ أن معلميكم هؤلاء الذين يتظاهرون بالمعرفة والحصافة، قد نفوا بســبب هذا الذنب وسينفضحون. إنهم دحضوا كلامى. فهل هذه هى الحكمة والحصافة؟ (٨: ٨-١٠)

النفخ في الأصوار

وقد أوعز إلى **ارميا**عليه السلام لكي يقوم من خلال كلامه الناعم والخشـــن، بحرث

الأراضي الصلبة لبني اسرائيل، ويحضّرها لنثر البزور فيها لكي تثمر وتؤتي أوكلها في ظل تساقطات سماء رحمة الله، وتستيعد حياتها. لكن المؤسف أن نزّ وملوحة القلوب والمواثيق الهشة، إنتزعت كل مجالات التوالد المجدد من بني اسرائيل. فلم تعد للأنفاس المتينة لارميا النبي، أثرا على أنفس هؤلاء المتجمدة. لذلك فقد تبخرت كل الفرص ونفخ في صور الموت والفناء.

إذن أنت يا ارميا، لا تدعو لهؤلاء القوم بالخير ولا تبكى وتتشفع وتنحب من أجلهم، لانى لن أقبل ذلك. ألا ترى ما يفعلون فى جميع مدن «يهوذا» وأزقة اورشليم؟ أنظر كيف يقوم الاطفال بجمع الحطب، ويوقد الآباء النار، وتصنع النسوة، العجين لتخبزن الرغيف لصنم ملكة السماء وتقدمون الشراب لسائر آلهتهم ويثيرون حفيظتى بهذه الطريقة ... لذلك فانى سأكظم غيظى. نعم، أن لهيب غضبى، أحرق هذا المعبد وسيقضى على الناس والحيوانات والأشجار ومحاصيل الأرض، ولن يتمكن أحد من إطفائه. (٧: ١٦-٢٠)

إن بني اسرائيل، كانوا يسيرون نحو الهلاك، لذلك لم يكن لأي كلام وتذكير ونصيحة وتوصية، أثرا عليهم. على غرار قوم **نوح**عليه السلام، عندما وضعوا أصابعهم في آذانهم لكي لا يسمعوا في ذروة العنجهية والعصيان وبوقت سماع الكلام الحكيم والناصح لشيخهم الأجل.

وكان اريما، قد تحدث صباحا مساء، وفي كل موقع ومكان، عن مستقبل قاتم ومعتم إزاء كهنة الخداع والأنبياء الكاذبين والتجار الجشعين والمزارعين المكارين، وحذر كذلك من السيل البابلي العارم الذي إنطلق الان من جبال الشمال ويمضي قدما بسرعة.

وكانت القهقهة الشيطانية لبني اسرائيل تدوي في أذني ارميا، وعدم صدقهم بصوت الأصوار التي بدأت تنطلق.

ويسمع صهيل خيول الأعداء من دان، الحدود الشمالية. وقد قذف صهيل

خيولهم القوية، الرعب فى قلوب الجميع، لان العدو قادم ليدمر هذه البلاد ومدنها وأهاليها.

ويقول الله: «إنى سأجند قوى العدو، كالأفاعى السامة وأرميها بكم. الأفاعى التى لا تستطيعون سحرها، ومهما حاولتم، ستلدغكم وتقتلكم. (٨: ١٦-١٧)

فكروا بما سيحدث! وعندها أحضروا النساء الناحبات، وأمهرن! أطلبوا منهن ليأتين بتعجل لكى ينحبن حتى تمتلئ أعينكم بالدموع، وتسيل المياه من جفونكم. إصغوا إلى أنين ونحيب أهالى أورشليم، حين يقولون: تباً لنا! كيف تعرضنا للنهب والسلب؟! تباً لنا، كيف انفضح أمرنا؟! يجب أن نغادر أرضنا، لان بيوتنا قد دمرت عن بكرة أبيها. (٩: ١٧-١٩)

وطوال السنين التي كان يلقن فيها ارميا عليه السلام، بني اسرائيل، حقيقة الدين والركائز الإيمانية، كانوا يخادعون وأناس مثلهم بالتظاهر بالتدين وتأدية مناسك عبادية لا روح فها، ويجعلون من ذلك وسيلة لقرصنة الأعين والقلوب ونهب آخر النقود المتبقية في جيوب المساكين والمعوزين. لذلك، فان ارميا عليه السلام كان اللسان البليغ لإله الكون لسكان يهوذا و«اورشليم»، إذ قال:

أيتها الارض! إصغى واسمعى. سأجعل هؤلاء القوم يواجهون كارثة هى ثمرة أوهامهم الآثمة، وبما أنهم لا يصغون لكلامى، ويضربون بأوامرى عرض الحائط، فما فائدة أن يجلبوا لى البخور من بلاد «سبأ» والعطور الفاخرة من البلاد البعيدة والنائية؟! لا أستطيع أن أقبل هداياهم. وهى لم تعد تعجبنى. لذلك فانى سأضع أحجارا وعوائق على طرق هؤلاء القوم لكى يتعثر بها آباؤهم وأولادهم وأصدقاؤهم وجيرانهم ويهلكون. (٦: ١٩-٢١)

... لقد عقدتم الأمل على الكلام الكاذب والزائف. فتسرقون وترتكبون الزنا والقتل، وتحلفون كذبا، وتشعلون البخور لبعل الوثن، وتعبدون

الآلهــة الغرباء، ومن ثم تأتون إلى البيت المســمى باســمى، وتقفون فى حضرتى وتقولون: نحن فى أمن وأمان ومن ثم تعودون وتنغمســون فى أعمالكم الشــنيعة، فهل البيت الذى يحمل إســمى هو بيت السراق؟ إنى أرى كل ما تفعلون فيه. (٧: ١-١٠)

وكان بنو اسرائيل، قد اختزلوا كل العهد والتكليف في الصورة الظاهرة والتظاهر بالتديــن والدين، لكنهم باتوا الان فــي عين عاصفة البلاء والعذاب. وكأنهم كانوا يتصــورون أن الله البصير العليم، أعمى وأصم مثلهم، ويظنون أن بوســعهم خداع الله، بواسطة التمسك بالأوجه المدنسة للمناسك والطقوس المعبدية!

وكان هؤلاء القوم يحسبون أن عطاء الله ومواهبه ستبقى خالدة ودائمة من دون قيد أو شرط متجاهلين العهد والميثاق والشرط الذي تعهدوا به.

إن جميع الأمم وفي وقت النعيم والرخاء، لا تحســب للإبتلاء والإمتحان أي حســاب، لكن شــكواها وعتابها يتعالى عندما تصاب بمصيبة ما، في حين أن هذه هي سنة الله الثابتة التي لا تغيير فيها ألا وهي أن استمرار ودوام جميع النعم، يكمن في حزمة العهد والتكليف، التي إن تركت وشأنها، ستجفف جذور النعم.

إن بني اســرائيل الذين كانوا قد ســئموا من كلام ناصحهم، ارميا، إنكبوا على حياكة المكائد والدســائس عســاهم أن يتخلصوا من ارميــا النبي ويقضون عليه نهائيا. وهؤلاء لم يخطر على بالهم أنهم كالبقرة السمينة التي ستأكل من ضلعها.

إن ما كان يقرّب هؤلاء القوم الطغاة من الفناء والموت خطوة فخطوة، لم يكن ارميا النبي، بل سلوكهم غير اللائق الذي كان أبناء اسرائيل قد اعتادوا عليه، وكأن هذه التصرفات قــد امتزجت بلحمهم ودمهم وتحولت إلى عادة لهم. لذلك فان الله، قال في وصف بني اسرائيل ومخاطبا إياهم:

هل يقدر حبشــى ما أن يغير من لون بشرته السوداء، أو هل يقدر نمر أن يمحى بقع جلده؟ وأنت الذى اعتدت لهذه الدرجة على العادات الســيئة، هل بوســعك القيام بعمل جميل؟ إذن لما نسيتنا واتبعت الآلهة الزائفين؟

وأنا سأشـتتك، مثلما تقوم رياح الصحراء بتفريق وبعثرة القش. وهذا هو القدر الذى قررته لك. لقد رأيت أفعالك القبيحة، عدم الطهر والإنغماس فى الملذات والشهوات والزنا وعبادة الأوثان على التلال والمزارع! سُحقاً لكِ يا أورشليم! إلى متى تريدين أن تبقين غير طاهرة؟ (١٣: ٢١-٢٧)

لقـد كان ارميا عليه السلام وحيدا أمام قوم سـاروا على طريق غير قويم واجمعوا على الفساد والمواربة والإعوجاج.

وكان الكهنة والسـحرة يوحون بان البعيد قريب والقريب بعيد على أمل المزيد من الإفـادة من المعابد واسـتغلال الحمقى الذين كانوا يرجعون إليهم لتسـويغ أفعالهم وإضفاء الشـرعية على مراوغاتهم ومواربتهم. وكانوا يصفون ارميا، مجنونا ومختلا عقليا تارة، ومتواطئا مع الأجانب والمعتدين تارة أخرى، عسـى أن يؤخروا موعد أجلهم، لكنهم وفي غفلة عن هبوب عاصفة الفناء، أصبحوا جميعا في عين ذلك الطوفان العتيّ.

وقال الله لارميا:

إن هـؤلاء الانبيـاء يدعون النبوة زيفا وكذبا باسـمى، فلـم أبعثهم ولما أرسلت لهم رسـالة. إن أحلامهم ليسـت منى، بل أنهم يتحدثون إليك عن طريق السحر ووهمهم وخيالهم المراوغ. إنى سأعاقب هؤلاء الأنبياء المخادعين الذين يأتون برسـالة باسـمى، لانى لم أقل شيئا لهؤلاء. إنهم يقولـون لن تندلع حرب ولن تحصل مجاعة. لذلك فانى سـاهلكهم فى الحرب والمجاعـة، وأن هؤلاء القوم الذين يصغـون إلى هذه النبوءات، سيقتلون بذات الطريقة، وسيرمى بجثثهم فى أزقة اورشليم ولن يبق أحد ليدفن الجثث... . (١٤: ١٤-١٦)

لعنة ارميا

وكانت «أورشـليم» تقترب فـي كل آن من الزوال والفنـاء. وكان كل أهالي

المدينة، قد سمعوا كلام ارميا عليه السلام، حتى العجائز الجالسات في بيوتهم المعتمة والمظلمة. إنه كان يدري جيدا إن البلاء آتٍ والعاصفة العاتية قادمة فلا تُبقي ولا تذر ولن يتبق أحد حتى يذرف الدمع على بني اسرائيل.

وكان ارميا، يرى عدد الأرامل اللواتي فقدن أزواجهن والأمهات الثكالى اللواتي كن يسلكن طريق الأسر الوعرة والمليئة بالصعوبات إلى بابل في ظل الرعب والفزع الناجم عن هجوم المهاجمين الآتين من الشمال، وكذلك دمار وهدم البيوت والمعابد.

إن ارميا كان على علم بالحكم والأمر الالهي الذي لا عودة فيه والذي بنى مشيئته على إبادة قوم ظالمين وجائرين، وتحمل كل المقاساة والألم وشماتة الشامتين خلال السنوات التي عاشها على أمل أن يصحو بنو اسرائيل. وبناء على ذلك، فانه يبتهل إلى الباري لنجاة نفسه في ذروة التيؤس من عودة بني اسرائيل ويدعو الله بعين مغرورقة بالدموع فيقول:

إلهى! أنت تدرى بأنى أتلقى كل هذه الإساءات والشتائم من أجلك! إذن تذكرنى واعتنى بى! واثأر لى من الذين آذونى. لا تصبر عليهم حتى يفلحوا فى قتلى. إن ما يجعلنى أستحمل وأطيق، هو كلامك الذى هو غذاء روحى الجائعة. إن كلامك يفرحنى ويبهجنى.

يا إلهى وربى المتعال! ما أكثر فخرا أن أحمل اسمك! ولم أشارك فى مآدب الناس المشحونة بالملذات، بل اخترت العزلة والوحدة بامرك، إن الغضب ليعترينى عندما أتذكر ذنوب هؤلاء... . (١٥: ١٥-١٧)

ويقف ارميا النبي عليه السلام عند مشارف المدينة، حيث يمر عبرها جملة ملوك وسكان اورشليم، ويحذر الجميع. ويدعو في ورشة صناعة الخزف، الجماهير لحفظ حرمة الله المنان ويحذرهم من غضب الله.

إن ارميا عليه السلام هو عبد يرضخ من دون أي سؤال، للامر السماوي عسى أن يجد سبيلا لنجاة بني اسرائيل، لكنه وردا على جميع دعواته يسمع صوتا يقول:

لا ترهق نفسك عبثا! إننا سنعيش كيفما نشاء وسنتابع غرازئنا المنفلتة. (١٨: ١٢)

ودفع المسيئون، ارميا عليه السلام إلى جانب البوابة الشمالية للمدينة بالقرب من معبد في «كندة» عندما توجه ارميا إلى رئيس مراقبي بيت الله ليدعوه للإنابة والعودة عن مساره غير القويم، وتخلوا عنه في ليلة ظلماء ليعيش وجعه وألمه. وفي اليوم التالي، عندما نال حريته، توجه إلى رئيس المراقبين الذي وصفه هذه المرة بساكن الرعب، وقال:

... إن الله سيسلم أهالى يهوذا إلى ملك بابل الذى سينقل هؤلاء القوم إلى بابل وهم فى الأسر أو أنه سيقتلهم. إن الله سيسمح بان ينهب الاعداء اورشليم وينقلون جميع الممتلكات والثروة والمقتنيات الثمينة للمدينة والمجوهرات الملكية ليهوذا إلى بابل، وأنت يا فشحور! ستقع وجميع أفراد عائلتك فى الاسر وستنقلون إلى بابل وستموتون وتدفنون هناك، أنت وجميع أصدقائك ممن كنت تتنبأ كذبا لهم بان الوضع مستقرا وهادئا. (٢٠: ١-٥)

وقد أنزلق سكان «اورشليم» ويهوذا في براثن السقوط والفناء بالضبط من النقطة التي كانوا يظنون أنها أكثر المواقع أمنا وأمانا. وكان هؤلاء يعتبرون القلاع الحصينة والثروة الطائلة والمعابد الرائعة والمنازل، علائم على الدوام والخلود، لكن سر الخلود لا يكمن في القصور الشاهقة والحصون المنيعة، بل في قوة جدران قلوب وعقول الناس وأمن المحرومين والأحضان الطاهرة ومؤازرة المساكين، لكن هؤلاء غفلوا كل هذا وظنوا أن البيوت الزجاجية والهشة، تشكل حصارا آمنا تحميهم، ومن هذا المنطلق قدر لهم أن ينكسروا ويهزموا وأن يقتعلوا على يد العاصفة القادمة من الشمال، ويقعوا في قبضة الأسر.

ويقول الله: سُحقاً لك يا يهويافيم الملك! الذى تشيد قصرك الأنيق من خلال استغلال الناس. إن جدران وابواب قصرك تقطر ظلما وجورا،

لانـك لا تدفع للعمال أجورهم. تقول إنى أشـيد قصـرا فخما لتكون له غرف كبيرة ومنافذ كثيرة، وأغطى سـقفه بخشـب شجر السرو، وأصبغه باللـون الأحمر. وهـل تظن أن الملك سـيدوم من خلال بنـاء القصور الفاخرة؟! (٢٢: ١٣-١٥)

هراوة الله هوت!

وفي خاتمة المطاف وكما كان **ارميا النبي**عليه السلام قد تكهن، فقد هوت هراوة الله على رؤوس بني اسرائيل.

وفـي آخر اللحظات، تلقـى ارميا أمرا بان يكتب مجمـل كلام الله ووعوده وتحذيراته على عريضة طويلة، ويعرضها على مرأى سـكان يهوذا والاخرين، عسى أن يعودوا إلى صوابهم ورشدهم بعد مشاهدة كل هذه التنبيهات والتحذيرات.

وذات يـوم، كان الـكل صياما، قرئـت هذه العريضة على بـاب الله لجميع الحاضرين والناظرين. وكان ارميا يأمل، بما أن اليهود قد تجمعوا في ذلك اليوم في بيت الله، أن يصغوا للعريضة قبل فوات الأوان ويطلبوا العفو والصفح من الله الذي كان القادر وحده على إنزال العذاب والبلاء في أي لحظة.

وعندما تليت العريضة على الجميع،

وقـد أرسـل الملك، يهوديـا لإحضـار العريضة. وقد جلبهـا من غرفة المدير اليشـاماع وتلاها على الملك وجميع سلطات البلاط الذين كانوا حاضرين فى الجلسـة. وكان فصل الشتاء حيث الملك جالسا فى القصر الشـتوى مقابل النار. وعندما تلا اليهودى عدة فقرات منها، أقدم الملك على تمزيق ذلك الجزء بالسـكين ورماه فـى النار، وبعدها عندما تليت العريضـة تدريجيا، واصل نفس العمل إلى أن أحرق العريضة برمتها. إنه وحاشـيته لم يخشوا كلام الله ولم يحزنوا، وبالرغم من أن الناتان ودلايا وجمريـا توسـلوا للملك، بالا يحرق العريضة، لكنه لـم يهتم بهم. (٣٦:

(٢١-٢٥)

وقد هاجم **نبوخذ نصر** ملك «بابل»، «اورشليم» بكل حشوده وجنوده، ودمر جدران المدينة، واستولى عليها وبسط سيطرته عليها منتصرا.

وفرّ الملك ومن معه، لكن لم يمر وقت حتى وقعوا في قبضة البابليين. وأصدر نبوخذ نصر، حكما بمعاقبة ملك بني‌اسرائيل، فاقتلعوا عينيه وأخذوه أسيرا إلى بابل.

وفى وسط المدينة، وقعت عينا ملك بابل، على كومة من التراب، كانت تغلى فيها عين من دم، لم تتوقف عن الفيضان مهما أهالوا التراب عليها. فسأل: ما هذا؟ قالوا: إن هذا دم النبى الذى قتله ملك بنى‌اسرائيل. وقال نبوخذ نصر: ألا قتلت بنى‌اسرائيل ليتوقف هذا الدم عن الغليان، وهذا الدم كان دم يحيى بن زكريا. وكان ملك جائر يزنى بنساء بنى‌اسرائيل، فنهاه يحيى من ذلك، لكن إحدى هؤلاء النسوة التى كانت ثملة قالت: أيها الملك، أقتل يحيى واجلب لى رأسه. فقطع الملك رأس يحيى ووضعه فى طست، لكن رأس يحيى وهو فى الطست، كان يعظ الملك وقال: أيها الرجل، إتقى الله واخشاه. فهذا العمل، ليس مباحا لك. ومن ثم غلى دمه فى الطست، ولم يهدأ مهما أهالوا التراب عليه. إلى أن نشأ جبل من تراب فى أطرافه بعد مائة عام، وبدأ نبوخذ نصر بقتل بنى‌اسرائيل مع مشاهدة هذا الجبل، فقتل جميع الرجال والنساء والأطفال وحتى الحيوانات، لكن الدم كان مايزال يغلى ويفور، فقال نبوخذ نصر: هل بقى أحد من هؤلاء القوم؟ فاخذوه إلى مكان تقيم فيه عجوز. فقتل نبوخذ نصر العجوز أيضا وصب دمها على الدم الذى كان يغلى، فتوقف دم يحيى عن الغليان أخيرا، وكانت تلك العجوز آخر بقايا هؤلاء القوم العاصين.[1]

وسقطت «اورشليم». وقتل جمع وأسر اخرون. ورحل ارميا النبي عن اورشليم.

١. **القمي، علي بن ابراهيم**، «تفسير القمي»، قم، دار الكتاب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ .ق.، ج ١، ص ٨٦.

ولم تبق بابل معمورة. ولم يمض زمن حتى سقطت بابل. وقال **النبي ارميا**عليه السلام بعد دمار اورشليم وانتصار المهاجمين البابليين، بشأنهم وبشأن كل ما كان ينتظرهم:

هذا هو الكلام الذى أخبرنى به الله ضد بابل وشعبها: أبلغو جميع الأمم وقولو بان بابل ستدمر، وسينكسر صنم مردوك وسائر أوثان بابل وسينفضح أمرهم، لان قوما سيهاجمون بابل من جهة الشمال ويخربونها، ولن يقطنها أحد، بل أن الجميع أكانوا بشرا أو حيوانات، سيفرون منها. (٥٠: ٢-٣)

وليعلم من يتبع غير أمر الله، ويحكم في الأرض ظلما، ويتخذ من الأوثان الخشبية والحجرية إلها له، ويتعرض باستهتار لأرواح الناس وأعراضهم وأموالهم، سيذوق طعم المهانة والمذلة لا محالة.

إن النبي ارميا عليه السلام وبعد كل الوعيد، يتحدث على لسان الله عن ذلك اليوم الذي يتزين بالجمال والجلال، والذي يجمع فيه الله الناس، ويسكنهم بأمن وسلامة.

والان سيحين اليوم الذى أعين فيه إنسانا عادلا من ذرية داوود، ملكا. وسيكون ملكا يحكم بحصافة وعدالة، ويطبق العدل فى أرجاء العالم ... . (٢٣: ٥-٧)[1]

«وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ»[2]

---

١. كتاب ارميا النبي.
٢. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

مأتم إرميا النبي عليه السلام وخاتمة نبوخذ نصر

وقد انهارت «أورشـــليم» تحت ضربات حوافر الخيول البابلية، ووقع معظم سكنة بلاد «بني اســـرائيل» المترامية الاطراف في أســـر البابلييـــن ماعدا عدة ضئيلة من المســـاكين والفقراء والعجزة. وهذه الواقعـــة أظهرت بان الله المتعال، لم يعقد مع كائن كان عهدا وميثاقا بلا قيد وشرط، بحيث أن بني اسرائيل دفعوا ثمن هذا الوهم وتعلموا الدرس قاســـيا، وعرفوا أن أي فعل في هـــذا العالم لن يمر دون ردة فعل، وهذه الســـنة الثابتة التي لا تغيير فيها في الكون والوجود، بحيث أن دمار وخراب المدينة وتشـــرد وتشـــتت أهاليها، هو رد التقدير الالهي على جور وفساد الحكام وتجاوز الناس للحدود الالهية.

وكان النبـــي ينظر إلى دمار وأنقاض اورشـــليم حزينا كئيبا وبقلب جريح، ويئن تذكارا عليها ولسان حاله يقول:

إن اورشليم التى كانت تكتظ بالسكان ذات يوم، أصبحت اليوم مهجورة. المدينة التى كانت محببة لدى الأمم، باتت اليوم أرملة! وهى التى كانت ملكة المدن، تحولت اليوم إلى جارية!

إن اورشـــليم تبكـــى الليل كله وتنزلـــق الدموع على خديهـــا. ولم يتبق أحد من أنصارهـــا ليكون عزاء لها. لقد خانها أصدقاؤها وأصبحوا جميعا يناصبونها العداء. (مراثى إرميا، ١: ١-٢)

إن من خان «اورشـــليم»، لم يكن غريبا، لقد كان بنو اســـرائيل، جائرين غير

مخلصيـــن، أضافوا على الرغم من تذكار الأنبياء الالهيين، في ســـجلهم الجحود والتمرد على الله واستعانوا باي وسيلة لابراز عنادهم، وفي النهاية تحولت اورشليم إلـــى أنقاض وخراب ودمار، ووقع أهاليها في الأســـر وتشـــردوا فـــي البلاد. وفي أورشليم،

لا يأتى أحد إلى بيت الله ليعبد فى أيام العيد. الفتيات اللواتى كن ينشدن الأناشـــيد أصبحن اليوم مكلومـــات، ويتأوه الكهنة وهـــم وحيدون. لقد أصبحت بوابات المدينة مهجورة، وغرقت أورشليم فى المأتم والعزاء.

لقد تغلب عليها أعداؤها، وانتصروا. لقد عاقب الله اورشـــليم بسبب وفرة ذنوبها. وأسر الأعداء، أبناءها ونقلوهم وهم أسرى وعبيد إلى ديار الغربة.

لقد زال مجد وجمال أورشليم كله. ويبحث أعاظمها كالغزلان عن مرتع، وهم أعجز من أن يملكوا التخلص والإفلات من قبضة العدو.

إن اورشليم تتذكر اليوم وبين أنقاض المصائب والكوارث، الايام المجيدة الماضيـــة. وعندما حاصرها العدو، لم يكن مـــن يعينها ، لقد قهرها العدو وسخر من هزيمتها». (المراثى، ١: ٤-٧)

وفي ذلك الحين، عندما حل المعروف محل المنكر والمنكر محل المعروف بين بنياســـرائيل، وفي تلك الحقبة عندما كان أهالي اورشليم وهم في قمة النعمة والرخاء، يســـخرون من فقر الفقراء وعوز المســـاكين، وكانوا يتســـابقون معا في الفســـاد والضياع، لم يأخذوا تحذيـــرات النبي الناصح إرميـــا على محمل الجد وكانوا يســـتهزئون به. وهؤلاء اليوم وهم في قبضة أسر بابل، يتحسرون على ماضي أورشليم. إن إرميا الباكي والنادب، يستمع من بين صمت أنقاض اورشليم، نحيبها وعويل سكانها إذ يقولون مع أنفسهم:

لقد اقترفت اورشليم معاصى كثيرة ولم تعد طاهرة. إن جميع الذين كانوا يكرمونها، باتوا يذلونها اليوم، لانهم شـــاهدوا عُرّيها وهوانها. إنها تبكى وتخفى وجهها استحياء.

لقد كانت وصمة عار على جبين اورشـــليم، لكنها لم تنتبه وتعتن. إنها لم

تفكر بعاقبتها، وسقطت بغتة. والان لا أحد يواسيها. (المراثين ١: ٨-٩)

إن «اورشليم» تحولت من السلامة والعافية، إلى إسم ملئ بالعتمة فحسب. وتحولت المدينة السليمة إلى مدينة مدمرة يتعالى فيها نعيق البوم وصرخات الطيور الجارحة.

إن أورشليم لم تتعظ، لكي تكون عبرة وعظة للاخرين.

وليت شعري! أن تفهم وتدرك جميع المدن وسكان البلاد، أن مصير اورشليم ينتظرهم، وهذه هي المشيئة السماوية لجميع المسيئين والغدرة والذين لا يستوعبون الدرس والنصح على مر التاريخ.

وليت شعري! أن أورشليم وقبل أن تصبح خرابا، كانت تفهم أنها وفي جميع طبقات حياتها، تروي شتلة وشجيرة النهب والسلب وهجوم الاعداء.

وليت شعري! أن تكون اورشليم قد أدركت في مرآة كلام إرميا النبي، بان العدو سينهب خزائنها ويدمر معابدها.

والان أصبحت أورشليم تنحب وتتأوه وتطلق الحسرات وتكرر مع ذاتها:

أيها الذين تمرون علىّ! لمَ لا تنظرون لى؟ ألقوا نظرة علىّ وانظروا هل هناك حزن يفوق حزنى؟ أنظروا ماذا فعل الله بى عندما غضب علىّ! لقد أنزل نارا من السماء ليحرق نخاع عظامى. ونصب فخا فى طريقى وضربى بالأرض ضربا. لقد تركنى وتخلى عنى وأنا فى حزن لا ينتهى. لقد نسج ذنوبى ووضعها كحبل حول رقبتى وأخضعنى للعبودية والرق. لقد سلب منى كل قوتى ورمانى فى أحضان أعدائى الذين كانوا أقوى وأعتى منى.

إنى أبكى بسبب هذه المصائب والكوارث وتنزلق الدموع على خدى. (المراثى،١: ١٣ - ١٦)

وترتفع أيدي «أورشليم» مثل أشجار بلاد اللبن والعسل نحو السماء، وتحدق باكية هنا وهناك في أرض الجيران، وتبحث عن المحيطين بها والمتاخمين لها، لكن لا أحد يمد يده البتة لنجدتها.

وعندما يسير قوم نحو الهلاك والفناء، لن تسعفهم أي يد داعمة. وعندما يصدر الأمر من السماء، يصبح الجميع كالطير الرعديد والخائف الذي يقع في قبضة عقاب جارح، وتسلب منه كل فرصة للحركة.

لقد طلبت المساعدة من الأصدقاء والأنصار، لكنهم خانونى. لقد فارق الكهنة والوجهاء الحياة فى أزقة المدينة عندما كانوا يبحثون عن لقمة خبز تسد رمقهم وتنقذهم من الموت.

إن الناس يسمعون أنينى، لكن لا أحد يسعفنى. وعندما علم أعدائى ماذا فعلت بى، فرحوا وابتهجوا. (المراثى، ١: ٢٠-٢١)

إن يدا سماويا، قد دمرت جميع بيوت اسرائيل. وحطت قلاعها وحصونها، وعرّت وجوه جميع الذين كانوا يعتبرون أنفسهم ذات يوم من العظماء والوجهاء.

واليوم تحولت أورشليم إلى هدف لجميع سهام البلاء. وقد نزل الغضب الالهي الذي انبثق من السيوف البابلية المهاجمة، كلهيب نار على خيام اورشليم وحولها إلى تلة من الرماد. واحترقت كل المعابد وكل ما كان يعد مقدسا يوما ما، وكان بنواسرائيل يفتخرون به، لكي يُعرف بان الله غني عن الجميع، قدوس ومبارك ومنزه.

وكان بنواسرائيل يضجون وينحبون في قبضة الأسر الذي صنعوه لأنفسهم بايديهم. ويبكون على الجدران المنهارة والمعابدة المهدمة والشبان الذين خسروا حياتهم، عسى أن تنجدهم اليد السماوية وترحمهم وتعيدهم إلى أورشليم مرة أخرى.

وكان إرميا النبي الحزين والباكي في عزاء اورشليم، يحدق ويرنو إلى الأقاصي البعيدة ويقول متوجها إلى قوم لم يعودوا موجودين:

وأما هذا، فكان من صنع الله. لقد نفذ ما كان قد قاله قبل سنوات. وكما كان قد حذر منه مرارا. لم يرحم اورشليم وأبادها وأدى إلى أن يفرح أعداؤها لخراب المدينة ويتباهون بسطوتهم وقدرتهم.

يا أهالى اورشليم! إبكوا فى حضرة الله، يا جدران اورشليم! أذرفى

الدموع نهارا ليلا كالسيل ولا تمنعى أعينك عن البكاء.
إنهضوا ليلا واسكبوا نحيب قلوبكم كالماء فى حضرة الله! إرفعوا أيدكم نحوه وتوسلوا إليه لابنائكم الذين يتضورون فى الأزقة جوعا. (المراثى، ٢: ١٧-١٩)

وليت كان بنواسرائيل وجميع الذين على شاكلتهم ممن يعيشون في قمة النعيم وينسون ولي نعمتهم ويضطهدون المظلومين ويملأون أرض الله القهار بالفساد والإذلال، يفهمون أنه عندما يقرر الله بسبب معاصي قوم ما، أن تلتهمهم نيران قهره، فلا مكان ومجال للشكوى واللوم؟! وهذا ليس مصير بني‌اسرائيل بل قدر الله العادل والحكيم المقدر لجميع الأمم لكي ينتزع منهم بعد جحودهم النعمة، تألق سيماهم وقيمة أموالهم وممتلكاتهم، ويسوّد وجوههم ويقتلعهم من جذورهم، عسى أن يصبحوا عبرة ودرسا للاخرين الذين يُفسح لهم المجال للسير في الأرض، مثلما اضطر بنو اسرائيل للإقرار بان:

لقد صب الله جام غضبه علينا، وأوقد نارا فى اورشليم التى احترقت عن بكرة أبيها. ولم يكن أحد من الملوك وأمم العالم يصدق أن يكون بمقدور العدو، إقتحام بوابات اورشليم، لكن هذا ما حدث، لان الأنبياء [أدعياء النبوة والرسالة] كانوا قد اقترفوا ذنوبا وسفك الكهنة دماء الابرياء فى المدينة. إن هؤلاء يتمشون اليوم فى الأزقة وهم يتحسسون طريقهم بارتباك ولا يقترب أحد منهم، لان أيديهم ملطخة بدماء الأبرياء. لقد صرخ الناس وقالوا لهم: إبتعدوا! لا تلمسوننا، لانكم أنجاس! لذلك تاهوا وحاروا وباتوا يتنقلون من أرض إلى أرض، لكن أى وطن لا يستقبلهم. لان الله جعلهم يتيهون هكذا وأصبح لا يهتم بهم. لقد فقد الكهنة والكبار، عزتهم واحترامهم». (المراثى، ٤: ١١-١٦)

وهذا هو القدر المحتوم لبني‌اسرائيل الذي قرروا لأنفسهم هذا، ولم يتمكنوا من لوم أحد سواهم.

إن يدا سماوية، تقرر مصير وقدر قوم أخرين، لم يقرأوا تاريخ الأمم السالفة

ومروا على كل ذلك مرور الكرام.

والمؤسف أن التاريخ يكرر نفسه بصورة متتالية، وتبرز قواعد وسنن، من بين تعاملات وعلاقات الناس، لكي يُعرف بان الكون لم يُترك وشأنه.

لكي يُعرف، أن ثمة عينا تراقب ما نفعله، وتقفز كالأسد الهصور من مكمنها فجأة وتمسك بتلابيب فريستها الغافلة.

إن اورشليم تنظر وترصد الان في مأتمها وعزائها، المصير الذي حل بها وباسمها، وتحصي العقوبة التي سرت عليها.

وليتهم في ذلك الحين حيث أغلقوا أعينهم على النعم والبركات، كانوا يصغون لتوصيات ونصائح إرميا النبي عليه السلام الناصح للقوم والقبيلة، لكي لا يكونوا يضطروا لتكبد ثمن مؤلم كهذا!

لقد هتكوا عصمة نساءنا وبناتنا فى يهوذا. وأعدموا قادتنا وانتهكوا حرمة كبارنا. وأجبروا شبابنا على العمل الشاق فى المطاحن كالعبيد، ويسير أطفالنا وهم يترنحون تحت حمل ووطأة الحطب الثقيل الذى يحلمونه. (المراثى، ٥: ١١-١٧)

ويقول الله تعالى في سورة «الإسراء»:

«وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ فِى الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِى الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا * عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا»[1]

وهذه الآيات تتناول جانبا من تاريخ بني‌اسرائيل الحافل بالمغامرات وتقول:

«وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ فِى الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِى الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ

١. سورة الإسراء، الآيات ٤-٨.

عُلُوًّا كَبِيرًا»

وعندمـا يحين الوعد الاول، وتعيثون أنتم فسـادا وسـفكا للدماء وظلما وجريمة، نرسـل إليكم جموعا من عبادنا الاشداء والمقاتلين لينالوا منكم عقابـا لكم. «فَإِذا جـاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنـا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنـا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ». إن هؤلاء القوم الأشـداء يجهزون عليكم بحيث يبحثون فى كلِّ بيت ودير للعثور عليكم «فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ».

«وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولا»

ومن ثم شـملتكم العناية الالهية ونصرناكم على اولئک القوم الغزاة «ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِم».

وعززناكـم بأموال طائلـة وبنين وعديد كبير من الأفـراد «وَ أَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِين».

وقد تفوقتم فـى عديد أفرادكم على عديد أفراد العدو «وَ جَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيـراً» وهكذا تشـملكم الألطـاف والعناية الالهية. عسـى أن تَصلحوا وتُصلحوا أنفسـكم. وتكفوا عن السـيئات وتعملوا الصالحات. لانه: «إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها».

وهذه سـنة دائمة بان الحسنات والسيئات تعود إلى الإنسان ذاته. وكل ضربة يوجهها الانسان يوجها في الحقيقة لهيكله وأي خدمة يسديها لاحد، إنما يكون قد خدم نفسه، لكن للاسف، لا تلك العقوبات توقظكم ولا هذه النعمة والرحمة الالهية. إنكم تطغون مجددا وتمشـون على طريق الظلم العدوان، وتفسدون إيما فسـاد في الأرض، وتتخطون حدود التفوق والتسلط. ومن ثم يحين الوعد الالهي الثاني.

وعندما يحين موعـد الوعد الثانى، تتغلب عليكـم جماعة من المقاتلين الأشـداء، ويلحقون بكم أفدح الخسائر والأضرار بحيث تبدو آثار الحزن والغـم على وجوهكم «فَإِذا جـاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُـوؤُا وُجُوهَكُمْ»؛ إنهم سـينتزعون منكم حتى أكبر معابدكم فى بيت المقدس ويدخلونه؛ مثلما

دخلـوه فى المرة الأولـى «وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْـجِدَ كَما دَخَلُـوهُ أَوَّلَ مَرَّة». وهـؤلاء لا يكتفون بهـذا القدر بل أنهم سـيهدمون ويدمرون كل البلاد والأراضى التى احتلوها «وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبيراً». ومع ذلك فان أبواب التوبـة والإنابة إلى الله لم تغلق فى وجوهكم. وعسـى أن يرحمكم الله ثانية «عَسـى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم». وإن عدتم نحونا، فاننا سـنعود إليكم وإن عثتم فسادا واستعلاء، فاننا سنعاقبكم أشد عقاب «وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنا». (وهذا بداية هو عقاب الدنيا، ولقد أعددنا جهنم لتكون للكافرين حصيرا) «وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرينَ حَصيراً».

وأبيد بنو اسرائيل و«اورشليم»، ولم يبق شئ سوى العجز و الإنكسار. وهذه الواقعة أظهرت بان الله سـبحانه وتعالى، لم يبرم مع أي كان، عهدا من دون قيد وشـرط، حتى وإن كان سانده على مرّ السـنين وفي التقلبات والصعود والهبوط، أو حتى انتشـله بواسطة مئات المعاجز والكرامات، من براثن الذل والهوان ورفعه إلى أعلى عليين.

وقد دفع بنو اسـرائيل ضريبة وهم فارغ في تجربة مؤلمة، ليفهموا أن أي عمل أكان جميـلا أو قبيحا، لن يمر مـن دون جواب في هذا العالم أو العالم الاخر، وهذا نابع من سنة ثابتة وباقية في جميع أركان الكون والوجود.

إن دمار المدينة العامرة وتشـرد سـكانها المتنعميـن، كان بمنزلة رد التقدير الالهي على ظلم وفساد قوم أنكروا الجميل وجحدوا النعمة، واعتبروا أن من حقهم التعدي وتجاوز حدود الظلم، ولا يعبأون بكلام أي ناصح وذاكر.

وقد رآى بنو اسـرائيل، في عهد النبي **موسـى**عليه السلام وفي مـرآة آيات «التوراة» غدهم وعاقبتهم، وانقض عليهم بغتة كل ما كان يسـتهدفهم و أرضهم، وهم في غاية الإبتعاد عن الورع والتقوى، لكن ماذا عن انسـان يخسر جميع الفرص وهو في قمة النعمة والرخاء لكنه في غفلة، على يد التقدير السماوي القدير والله القهار المنتقم.

ويقول الإمام الصادقعليه السلام بشأن كل ما حلّ ببنياسرائيل وديارهم:

«لما عملت بنو إسرائيل المعاصی و عتوا عن أمر ربهم، أراد الله أن يسلط عليهم من يذلهم و يقتلهم، فأوحى الله تعالى إلى إرميا: يا إرميا، ما بلد انتجبته من بين البلدان، فغرست فيه من كرائم الشجر، فأخلف فأنبت خرنوبا؟[1] فأخبر إرميا أحبار بنی إسرائيل، فقالوا له: راجع ربک،ليخبرنا ما معنى هذا المثل.

فصام إرميا سبعا، فأوحى الله إليه: يا إرميا، أما البلد فبيت المقدس، و أما ما أنبت فيه فبنو إسرائيل الذين أسكنتهم فيها، فعملوا بالمعاصی، و غيروا دينی، و بدلوا نعمتی كفرا، فبی حلفت، لأمتحننهم بفتنة يظل الحليم فيها حيرانا، و لأسلطن عليهم شر عبادی ولادة، و شرهم طعاما، فيسلطن عليهم بالجبرية فيقتل مقاتليهم، و يسبی حريمهم، و يخرب ديارهم التی يغترون بها، و يلقی حجرهم الذی يفتخرون به على الناس فی المزابل مائة سنة.

فأخبر إرميا أحبار بنی إسرائيل، فقالوا له: راجع ربک، فقل له: ما ذنب الفقراء و المساكين و الضعفاء؟ فصام إرميا سبعا، ثم أكل أكلة فلم يوح إليه شیء، ثم صام سبعا، فأوحى الله إليه: يا إرميا، لتكفن عن هذا، أو لأردن وجهک إلى قفاک.» قال:«ثم أوحى الله تعالى إليه: قل لهم لأنكم رأيتم المنكر فلم تنكروه.

فقال إرميا: رب، أعلمنی من هو حتى آتيه، فآخذ لنفسی و أهل بيتی منه أمانا؟ قال: ائت موضع كذا و كذا، فانظر إلى غلام أشدهم زمانة، و أخبثهم ولادة، و أضعفهم جسما، و شرهم غذاء، فهو ذلک.

فأتی إرميا ذلک البلد فإذا هو بغلام فی خان، زمن، ملقى على مزبلة وسط الخان، و إذا له أم ترمی بالكسر، و تفت الكسر فی القصعة،و تحلب عليه خنزيرة لها، ثم تدنيه من ذلک الغلام فيأكله.

فقال إرميا: إن كان فی الدنيا الذی وصفه الله فهو هذا. فدنا منه، فقال

---

۱. الخرنوب: شجر مثمر من الفصيلة القرنية، ثماره قرون تؤكل وتعلفها الماشية.

له: ما اسـمک؟ قال: بخت‌نصر. فعرف أنه هو، فعالجه حتى برئ. ثم قال له: تعرفنی؟ قال: لا، أنت رجل صالح. قال: أنا إرميا نبی بنی إسـرائيل، أخبرنی الله أنه سيسـلطک علی بنی إسرائيل فتقتل رجالهم، و تفعل بهم كذا و كذا –قال –: فتاه الغلام فی نفسـه فی ذلک الوقت، ثم قال إرميا: اكتـب لی كتابا بأمان منک. فكتب لـه كتابا، و كان يخرج إلی الجبل و يحتطب،و يدخله المدينة و يبيعه، فدعا إلی حرب بنی إسـرائيل فأجابوه، و كان مسـكنهم فی بيـت المقدس، و أقبل بخت‌نصـر و من أجابه نحو بيت المقدس، و قد اجتمع إليه بشـر كثير، فلما بلغ إرميا إقباله نحو بيت المقدس، استقبله علی حمار له و معه الأمان الذی كتبه له بخت نصر، فلم يصل إليه إرميا من كثـرة جنوده و أصحابه، فصير الأمان علی قصبة أو خشبة و رفعها، فقال: من أنت؟ فقال: أنا أرميا النبی الذی بشرتک بأنک سيسلطک الله علی بنی إسرائيل، و هذا أمانک لی.

فقـال: أما أنت فقد أمنتک، و أما أهل بيتـک فإنی أرمی من هاهنا إلی بيـت المقدس، فإن وصلت رميتی إلی بيت المقدس فلا أمان لهم عندی، و إن لـم تصل فهـم آمنون.و انتزع قوسـه و رمی نحو بيـت المقدس، فحملت الريح النشـابة حتی علقتها فی بيـت المقدس، فقال: لا أمان لهم عندی.

فلما وافی نظر إلی جبل من تراب وسـط المدينة، و إذا دم يغلی وسطه، كلمـا ألقی عليه التـراب خرج و هو يغلی، فقال: ما هذا؟ فقالوا: هذا [دم] نبی كان لله، فقتله ملوک بنی إسـرائيل و دمـه يغلی، و كلما ألقينا عليه التراب خرج يغلی.

فقال بخت‌نصر: لأقتلن بنی‌إسـرائيل أبدا حتی يسـكن هـذا الدم. و كان ذلـک الدم دم يحيی بن زكريا عليه السلام، و كان فـی زمانه ملک جبار يزنی بنسـاء بنی إسرائيل، و كان يمر بيحيی بن زكريا، فقال له يحيی: اتق الله – أيها الملـک – لا يحل لک هذا.فقالت له امرأة من اللواتی كان يزنی

بهن حين سكر: أيها الملک اقتل يحيى. فأمر أن يؤتى برأسه، فأتى برأس يحيى علیه السلام فی طست، و كان الرأس يكلمه، و يقول له: يا هذا، اتق الله، لا يحل لک هذا. ثم غلى الدم فی الطست حتى فاض إلى الأرض، فخرج يغلى و لا يسكن، و كان بين قتل يحيى و بين خروج بخت‌نصر مائة سنة. و لم يزل بخت‌نصر يقتلهم، و كان يدخل قرية قرية، فيقتل الرجال و النساء و الصبيان، و كل حيوان،و الدم يغلى حتى أفناهم، فقال: بقى أحد فی هذه البلاد؟ فقالوا: عجوز فی موضع كذا و كذا. فبعث إليها فضرب عنقها على الدم فسكن، و كانت آخر من بقى.

ثم أتى بابل فبنى بها مدينة، و أقام و حفر بئرا، فألقى فيها دانيال، و ألقى معه اللبوة، فجعلت اللبوة تأكل طين البئر، و يشرب دانيال لبنها، فلبث بذلک زمانا. فأوحى الله إلى النبى الذى كان فی بيت المقدس: أن اذهب بهذا الطعام و الشراب إلى دانيال، و أقرئه منى السلام. قال: و أين دانيال، يا رب؟ قال: فی بئر ببابل فی موضع كذا و كذا.

فأتاه فاطلع فی البئر، فقال: يا دانيال؟ فقال: لبيک، صوت غريب. قال: إن ربک يقرئک السلام، و قد بعث إليک بالطعام و الشراب.فدلاه إليه – قال – فقال دانيال: الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره، الحمد لله الذى لا يخيب من دعاه، الحمد لله الذى من توكل عليه كفاه، الحمد لله الذى من وثق به لم يكله إلى غيره، الحمد لله الذى يجزى بالإحسان إحسانا، الحمد لله الذى يجزى بالصبر نجاة، الحمد لله الذى يكشف ضرنا عند كربتنا، الحمد لله الذى هو ثقتنا حين تنقطع الحيل منا، الحمد لله الذى هو رجاؤنا حين ساء ظننا بأعمالنا.»

قال: «فرأى بخت‌نصر فی منامه كأن رأسه من حديد، و رجليه من نحاس، و صدره من ذهب – قال –:

فدعا المنجمين، فقال لهم: ما رأيت فی المنام؟ قالوا: ما ندرى، و لكن قص علينا ما رأيت. فقال: أنا أجرى عليكم الأرزاق منذ كذا و كذا، و لا

تدرون ما رأيت فى المنام؟! و أمر بهم فقتلوا.»

قال: «فقال له بعض من كان عنده: إن كان عند أحد شىء فعند صاحب الجب،فإن اللبوة لم تتعرض له، و هى تأكل الطين و ترضعه، فبعث إلى دانيال، فقال: ما رأيت فى المنام؟ قال: رأيت كأن رأسك من حديد، و رجليک من نحاس، و صدرک من ذهب.

فقال: هكذا رأيت، فما ذاک؟ قال: قد ذهب ملکک، و أنت مقتول إلى ثلاثة أيام، يقتلک رجل من ولد فارس.»

قال: «فقال: إن على سبع مدائن، على باب كل مدينة حرس، و ما رضيت بذلک حتى وضعت بطة من نحاس على باب كل مدينة، لا يدخل غريب إلا صاحت عليه، حتى يؤخذ – قال – فقال له: إن الأمر كما قلت لک.»

قال: «فبث الخيل، و قال: لا تلقون أحدا من الخلق إلا قتلتموه كائنا من كان. و كان دانيال جالسا عنده، و قال:

لا تفارقنى هذه الثلاثة أيام، فإن مضت هذه الثلاثة أيام و أنا سالم قتلتک.

فلما كان فى اليوم الثالث ممسيا أخذه الغم، فخرج فتلقاه غلام كان يخدم ابنا له، من أهل فارس، و هو لا يعلم أنه من أهل فارس، فدفع إليه سيفه، و قال: يا غلام، لا تلقى أحدا من الخلق إلا و قتلته، و إن لقيتنى أنا فاقتلنى. فأخذ الغلام سيفه فضرب به بخت‌نصر ضربة فقتله.»[١]

١. **القمي، علي بن ابراهيم**، «تفسير القمي»، قم، دار الكتاب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ .ق.، ج ١، صص ٨٦-٩١.

بشارة النجاة والفكر الإنقاذي

إن فترة الأســـر والنفي، وجهوزية بني‌اسرائيل، لتقبل التعاليم المدنسة بالشرك وغير التوحيدية مـــن جهة، وهجوم التعاليم والطقوس العباديـــة لعبدة الاوثان والطقوس الســـحرية للبابليين من جهة أخرى، هيّأت بني‌اسرائيل للإنغماس في إستحالة من العيار الثقيل في السنن غير الدينية.

ومع ذلک فان كبار الكهنة لـــم يكونوا المنقذين الحقيقيين للدين، لأنهم كانوا يأخذون حفظ ســـلطتهم بنظر الإعتبار فى معارضة رواج العبادات الغريبـــة، بل أن منقذى الدين كانـــوا الأنبياء الذين نزل عليهم الوحى من الله فى ظل إيمانهم الراســـخ، وكلفوا بتبليغ الناس والســـلاطين بالغضب الإلهى.[1]

إن ضخ الفكر الإنقاذي الســـماوي والبُشرى بحلول فصل النجاة، تحول منذ هذا الزمان إلى مادة جوهرية للحد من إســـتحالة بني‌اسرائيل في السنن المشحونة بكفر البابليين وسائر الأمم.

وكان الأنبياء، أناس فقراء فى الأغلب، يعيشون فى عزلة فى الصحراء أو الجبال، وبما أن روح الله نفخت فيهم، كانوا يتنقلون بين القبائل ويدعون الناس للتوبة. وكانوا يتنبأون بالوقائع العظيمة ويعلنون قدرة الله المتعال،

---

١. **البر ماله**، «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، ج ١، ص ١١٢.

ويهاجمون عبادة الأوثان. وكانوا يذكرون المؤمنين بان الإيمان الحقيقى ليس تقديم المزيد من القرابين، بل يجب التحلى بالتقوى والحق. كما كانوا يعدون بان الله سيبعث رسولا (المسيح) لانقاذ القوم وسيتم بناء أورشليم من جديد.[١]

وكان «اشعياء» وإرميا» أفصح الأنبياء، أعلنا دمار وخراب «سامارى» و اورشليم. واعلن حزقيل ودانيال بان الغلبة ستكون حليفا للذات السرمدية وقومه، وبثا بذلك روحا من الأمل فى النفوس القانطة واليائسة. وقال أشعياء:

يقول الله: « لماذا كل هذه القرابين. إنى شبعت من قربان الضأن وشحم قطعانكم. إنى لا أستمتع بدماء الجاموس والحمل والعنز... ومن طلب منكم هذه القرابين؟ إنى أكره بخوركم واحتفالاتكم... وعندما تستغيثون كثيرا، فانى لا أصغى، لان أيديكم ملطخة بالدماء. إغتسلوا وطهروا أنفسكم. إبعدوا أفكاركم السيئة عنى. كفوا عن السيئات. وتعلموا إيصال الخير. واتبعوا الحق. وادعموا المظلومين. ولا تتوانوا عن تأدية حق اليتيم. واعتنوا بالأرامل. وعندها تعالوا عندى وتحدثوا عن أنفسكم. وفى هذه الحالة، فان كانت ذنوبكم حمراء قانية كالزنجفر، فانها ستصبح بيضاء ناصعة كالثلج». إن ممارسة الظلم والجور ضد الناس، أثارت غضب الله وسخطه. وسينزل غضبه عن قريب على القوم. وبداية سينال سامارى عقابه. تبا للعرش المغتر وشاربى خمر افريم. أنظروا لتلك اليد القوية التى أرسلها الله، ستصل وستكون كعاصفة من البرد ورياح عاتية وطوفان موحش، ليطيح بذلك العرش. أيها العرش المغتر، ستباد... وتلك البرعمة المتفتقة التى يتواجد فيها الوادى الزاخر، هى بمنزلة التينة التى إن وقعت عين أى انسان عليها، فيلتقطها على الفور ويضعها فى فمه...»

١. المصدر السابق.

واشـور هو أيضا أداة عمل الله، سـيتم بدوره معاقبته كما أن اورشـليم سـتتعذب بهذا العذاب بجريرة الذنوب التـى اقترفتها، لكن زمانا أفضل سـيحين. ويقول إله زعيم الجيش: يا أمتى التى فى صهيون، لا تخشـى اشـور! إنه سيضربك بعصا خشـبية، كما ضرب مصر سابقا، لكن تأملى قليلا. إنه سيلقى غضبى عقابا للجرائم التى اقترفها... وعندها ستنجون من العبء الذى تحملونه علـى كاهلكم... وينطلق صوت النفير المدوى. إن الذين تفرقوا فى أرض اشـور أو نفوا إلى مصر، سـيعودون لكى يعبدوا الله فى الجبل المقدس (اورشـليم)...» وعندها «سيتفرع غصن من شجرة داوود، وتنبت شـتلة بجانب جذوره وستكون روح الله معه... إنه لا يفقد العدل تجاه الفقراء وسيبيد المسيئين عندما ينبس ببنت شفة» وفى النهاية فان جميع الأمم ستسـير على طريق المصالحة وسيحكم الله الجميع. «إن تعليمـات وكلام الله ياتى مـن صهيون. إن صهيون سـتحكم بين الأمم وسـتفرض أحكامها عليها. وأى أمة لن تشـهر بعد الان سيفها بوجه أمة اخرى ولن يعرف أحد شيئا عن الحرب.[١]

ويقول **ويل ديورانت** استمرارا للحديث حول الانبياء والمتنبئين من بنياسرائيل:

وفى هذه الأثناء واصل واعظ اخر فى بابل وبدلا عن إرميا، التنبؤات ألا وهو حزقيال النبى. وكان رجلا من شـريحة الكهنة، نقل فى فترة الأسـر الاول إلى بابل. وقد هاجم حزقيال شـأنه شـأن «أشعياء الاول» وإرميا، بشدة عبادة الأوثان والتحلل الخلقى الذى كان سائدا فى اورشليم، وشبه اورشليم بالمرأة البغية والمومس. لأنها باعت دينها للآلهة الغرباء. وكان يأتـى على ذكر السـامرة واورشـليم كالفتاتين المومسـتين وافرط فى إستخدام هذه المفردات. وكان قد أعد قائمة طويلة من معاصى اورشليم واعتبر وفقا لهذه الذنوب أن هذه المدينة تسـتحق الأسر والدمار. وكان

١. **البر ماله**، المصدر السابق، صص ١١٣-١١٤.

على غرار أشعياء لم يدعم أى مدينة وأماط اللثام عن خطايا «موآب» وصور ومصر واشور وحتى دولة «مأجوج» التى تكتنفها الأسرار وخبّر عن دمارها وخرابها كلها.

لكن كلامه لم يكن يتسم بحدة وقسوة كلام إرميا، وفى نهاية المطاف، لان قلبه وأعلن بان الله سينقذ المتبقين من اليهود وسيحيى مدينة أورشليم مرة اخرى. إن ما كان قد اتضح له فى تأمل ما، أبلغه للناس وقال إنه سيتم هناك تشييد هيكل جديد وتنبأ بنشأة مدينة فاضلة، يشغل الكهنة فيها المقام والمنصب المميز والأرفع، وسيصمت يهوه بين قومه وإلى الأبد.

وكان يأمل أنه ومع وضع نهاية سعيدة لهذا الأسلوب من العمل، تعزيز معنويات مواطنيه الذين كانوا فى المنفى، والحد من إنصهارهم فى الثقافة والدم البابليين. وفى تلك الحقبة، وكما اليوم، كان يبدو أن أمة قد ذابت فى أمة أخرى، وهى تخسر وحدتها وحتى سجيتها وطبيعتها، وبذلك لا يبقى شئ من اليهود. وقد ترقى ونهض اليهود بسبب عيشهم فى بلاد «بين النهرين» الزاخرة بالنعمة والوفرة وتخلوا عن العديد من العادات والتقاليد والطقوس الدينية. وتزايد عددهم سريعا وحصلوا على ثروة طائلة. وسلكوا طريق التقدم والرقى فى ظل الاستقرار والوفاق الذى اكتسبوه فى ظل الاسر وكانوا محرومين منه من قبل. وقامت مجموعة منهم التى كانت تتكاثر بسرعة، بعبادة الآلهة البابليين واعتادت على الممارسات الشهوانية التى كانت سائدة فى تلك الحاضرة القديمة. وبعدما رحل جيل، وجاء الجيل الثانى من اليهود المنفيين، محيت اورشليم من الذاكرة تقريبا.

إن المؤلف المجهول الذى تولى إكمال كتاب أشعياء، كان بصدد أن يعيد هذا الجيل العازف عن الدين، إلى دين اسرائيل ثانية، وكانت ميزته أنه

رفـع بالدين اليهودى إلى مرتبة عالية لـم تبلغها أى ديانة أخرى كانت سـائدة حتى تلك الحقبة فى الشـرق الأدنى.[١] وفى ذلـك العهد حيث كان «بـوذا» فى الهند يحـث الناس على قمع الشـهوات والغرائز، كان «كونفوشـيوس» فى الصين، يبث بذور الحكمة بين قومه، وكان أشعياء الثانـى، يقوم من خلال نثر بديـع ورائع، بتبيان مبـادئ التوحيد لليهود فـى المنفى بصـورة جلية، ويعرض عليهم الله العطـوف الحنون الذى لم يكن عطفه وعطاؤه يُقاس ويُقارن مع يهوه الغاضب والمتشـدد لاشـعياء الأول. إن هذا النبى الكبير، كان يبلغ كلامه للناس بكلمات اختارها لاحقا أحد الاناجيل وأوردها نقلا عن المسـيح. وفى هـذه الدعوة الجديدة، لم يكن الحديث يدور حول لعن الناس بسـبب المعاصى التى ارتكبوها، بل المقصود كان أن يبث روح ونور الأمل فى قلوب المنفيين المحطمة.

«إن روح الله، يهوه معى، لان الله سـلحنى لأزف بشـرى للمساكين، لقد بعثنى لأضع بلسما على جراح المنكسرة قلوبهم، وأدعو للأسرى بالفلاح وللسجناء بالحرية».

لقـد إنتبه إلى أن يهوه ليس إله الحـرب والثأر، بل أنه أب حنون. وهذا الإنطباع غمر قلبه بالسـعادة ودفع به إلى إنشاد أناشيد رائعة وبث الأمل فى نفوس الناس، بان إلها جديدا سيأتى وسينقذ أمة اليهود من التعاسة.

«صـوت مناد فى الصحراء! مهدوا لله طريقه وطريق لإلهنا فى الصحراء. إن كل تلة عالة وكل جبل شـاهق سـينخفض وتتحـول الإنحرافات إلى طريق قويم، وتصبح التعرجات مسـتوية.[٢] إن إله يهـوه يأتى الان بقوة

١. إننا لا نملك أي معطيات عن هذا المؤلف والكاتب الذي اختار طبقا للتقليد السائد في زمانه، طريقة التحدث بلسان أشعياء. والشئ الوحيد الذي نستطيع قوله هو أنه وضع كتابه قبل أو بعد تحرير اليهود على يد كوروش بفترة وجيزة. ويذهب الباحثون في التوراة إلى أن الفصول ٤٠ إلى ٥٥ من كتاب أشـعياء هي منه، مثلما أنهم يعتبرون الفصول ٥٦ إلى ٦٦ من الكتاب ذاته، هي ميراث كاتب أو كتاب اخرين. (ويل ديورانت، المصدر السابق).

٢. وربما الإشارة إلى الطريق الذي كان يصل بابل بأورشليم . (ويل ديورانت، المصدر السابق)

وتحكم له ذراعه... إنه كالراعى، سيرعى قطيعه ويجمع بذراعه الحمل، وسيحتضها وسيقود المرضعين بمرونة وعطف».

ومن ثم يأتى هذا النبى على ذكر المسيح والمنقذ، ويمضى قدما فى إيصال هذه البشرى لدرجة يتحول فيها الإيمان بالمنقذ إلى معتقدات متينة ومتجذرة بين قومه. ويتحدث عن إسداء الخدمة التى تنقذ قوم اسرائيل فى ظل تضحياته الجسام.

«... عار ومنبوذ لدى الناس، حامل الهموم والآلام ويشبه الذى يدير الناس ظهورهم عليه، لقد ذلّ بحيث أننا لا نعيره إهتماما. لكنه حمل همومنا وأوجاعنا، وظننا أنه نبذ وجرح من جانب الله، لكنه جرح بسبب تقصيرنا وقمع بسبب معاصينا، ونزل عليه تأديبنا، وشفينا نحن من جروحه ... وقد ألقى الله جل ذنوبنا عليه».

ويتنبأ أشعياء الثانى بان أرض فارس هى وسيلة تحرير هؤلاء القوم، ويقول أن كوروش الذى لا يقهر سيستولى على بابل ويخلص اليهود من الأسر، وعندها سيعودون إلى أورشليم ويشيدون هيكلا جديدا ومدينة حديثة، ستكون على غرار الجنة، وسيرعى الذئب والحمل معا، وسيأكل الأسد القشة مثل البقرة وسيكون التراب طعاما للأفعى. ويقول الله: «لن يلحقوا ضررا فى كل جبلى المقدس ولن يفسدوا».[١]

١. **ويل ديورانت**، «قصة الحضارة»، صص ٣٧٨-٣٨٠ .

العودة إلى أورشليم

ومـــع مهاجمة **كوروش** لـ«بابـــل» وزوال حكم **نبوخذنصر**، تحـــرر اليهود. فبقيت جماعة منهم في بابل وعادت اخرى إلى أرضها السابقة أي «اورشليم».

وبعـــد عودة اليهود من بابل، إتخذ المجتمع الدينى، نظاما ونســـقا جديدا وشـــيدت معابد سميت فيما بعد «كنيس».[1] واتســـمت هذه المعابد مثلها مثل ســـائر المعابد، بفن معمارى خاص، واشـــتملت على المذبح وموضع القربان ومواقع خاصة أخرى. ويسمى المعبد اليهودى اليوم أيضا كنيس.[2]

وبالرغـــم من أن بنيإســـرائيل وفي ظل توجيهات بعـــض أنبيائهم، عادوا بعد تحررهم من الاســـر البابلي إلى تعاليمهم التقليديـــة وانهمكوا باعادة بناء المعبد، لكنهم:

تسربت إليهم الحداثة والتجديد على إثر فتوحات الاسكندر والنزعة إلى النظام اليونانى. فقد أقام المهاجرون اليونان فى أرجاء فلسطين، وروجوا لتقاليد وعادات وســـنن اليونـــان. إن الكثير من اليهود وفى عصر حكومة بطلميوســـان المرنة، أخذوا يستشـــكلون على ديانتهم القديمة واعتبروها محدودة ولا طائل من ورائها.

---

1. Synagogus

٢. **توفيقي، حسين**، المصدر السابق، ص ٩٢.

وفى عصر حكم السلوكيين المتشدد، تسربت الثقافة اليونانية أكثر فاكثر بين اليهود، وتعززت شوكة الحزب الذى كان يميل إلى اليونانيين وأصبح «ياسن»[1] كبير كهنة اليهود أحد قادته، وبنى تأسيسا على التقليد اليونانى، ملعبا رياضيا وحوّل على النقيض من المعتقدات اليهودية الشبان إلى نصف عراة وأرغهم على ممارسة الرياضة.

إن هكذا أحداث ودون أدنى شك، لم تكن تعجب وترضى اليهود التقليديين. وفى عام ١٧٥ قبل الميلاد، تولى انتيوخوس ابى فانس، العرش فى سورية، واستخدم القوة والعنف من أجل بسط ونشر الثقافة اليونانية. ونهب المعبد اليهودى وحوّل مذبح يهوه إلى مذبح «زيوس» ومنع اليهود من إقامة طقوسهم الدينية.

وهذا التشدد، تبعته ردود أفعال. فقد تمرد المؤمنون اليهود بقيادة «مكابيين» وحصلوا عام ١٦٥ قبل الميلاد على الحرية الدينية وبعد عدة أعوام على الحرية السياسية. ومذاك انقسم اليهود إلى قسمين. أصحاب النزعة اليونانية الذين تحولوا فى النهاية إلى «الصدوقيين»[2] واليهود المتنسكين فى عصر مكابى (حسيديم)[3] ممن بقوا أوفياء للسنن اليهودية، وأصبحوا من أصحاب «فريسة».[4] لكن نهضة اليهود لم يكتب لها البقاء والدوام، وتم قبل مجئ جيوش الروم بقليل فى عام ٦٣ قبل الميلاد سكّ النقود المعدنية بالخط اليونانى.[5]

وبرغم كل هذه الجهود، حتى أن الذين كانوا قد بقوا فى فلسطين، لم يتمكنوا إلا بصعوبة من مقاومة النفوذ الاشورى البابلى. ويمكن من خلال

1. Jason
2. Sadducess
3. Hasidim Orchasidim
4. Pharisees

٥. **بارنز وبكر**، «تاريخ الفكر الاجتماعي»، ترجمة **جواد ابوسفيان – علي اصغر مجيدي**، مؤسسة أمير كبير للنشر، ١٣٧٠، ج ١، صص ٢٦٩-٢٧٠.

كتابات «حزقيال النبى»الحماسية [وكما أوردناها فى الصفحات السابقة] درك ثغرات وعثرات قوم اسـرائيل، ممن كسـروا التوبة مرارا وتكرارا واتبعوا معتقدات فاتحينهم. وباستثناء عدد ضئيل، إنجذب البقية بقوة إلى الديانات الغريبة والأجنبية والممارسات السحرية التى كانت تمارس فى معبد اورشليم بالذات، وكانوا يجلسـون بجانب البوابة الشمالية للمعبد، فى تلك الفترة، للبكاء على تموز. وكانت الإسـاءة للمقدسـات، تشاهد بقدر أكبر. [على سـبيل المثال] «كان نحو خمسة وعشرين رجلا أداروا ظهوروهم لعبادة الله بين الرواق والمحراب، وكانوا يتجهون نحو المشرق لعبادة إله الشـرق»... لقـد دنس هؤلاء محراب معبد اورشـليم، وكانت تتصاعد من بوابات الهيكل[١] أنغام العزف على الناى والأصوات الحزينة للنفخ على آلة الفلوت، تشرفا لإله تموز القديم.

وكان تموز إله السـومريين، وكانوا يعبدونه فى القدم باسم دومو – زى أو الإبـن الأصيل، وانتقلت عبادتـه لاحقا إلى العبرانية. وكان تموز مُتيم بالشاب عشـتار (Ishtar) الإلهة الأم وتجسيد لقوة الإخصاب والإنجاب والأنوثة، وكان شـأنه شـأن عشـتاروت وكوبلى وافروديت وايزيس، يحمل معه جوهر الحياة والنمو.[٢]

وفي الحقيقة يجب القول أنه في ظل هكذا ظروف، كان المؤمنون الحقيقيون، قلة، والمحتالون الذين يبيعـون دينهم بدنياهم، كثرة. وكان المعبد مكانا للخداع والتضليل والكهنة الكذابين، الذين كانوا يعملون بالف حيلة ومكيدة وطبعا باسـم الدين لنهب جُل معتقدات وممتلكات بني اسرائيل.

١. وكانوا يطلقون إسـم الهيكل أو هكال على معبد سليمان، وهو مأخوذ من المفردة السومرية «اغال» أو البيت الكبير. وكانوا في أوغاريت يطلقون على المعبد إسم هيكلو Haikalu أو بيتو Baito.

٢. **كلسرخي، ايرج**، «تاريخ السحر»، المصدر السابق، ص ٦٥.

الحركات الدينية قبل بعثة السيد المسيح عليه السلام

وقد ظهرت قبل عصر المسيحية أربع حركات وتوجهات مهمة في فلسطين عند اليهود. وهي عبارة عن:

١. الأسينيون[1]

٢. الغيوريون أو الزيلوت[2]

٣. الفريسيون[3]

٤. الصدوقيون[4]

و«الأسينيون» كانوا الأتقياء الورعين المحبطين الذين انعزلوا عن المجتمع وبقوا بانتظار ظهور **المسيح** عليه السلام. وكانوا يعيشون في الصحارى ويجهزون ويهيئون أنفسهم لمجئ سلطنة الله.

و«الغيوريون»، كانوا فئة صغيرة من الناشطين المعادين للروم، وكانوا ملتزمين تماما بالتوراة ويعدون العدة لبدء تمرد مسلح ضد الروم.

وكان «الفريسيون» فرقة أو حزبا سياسيا، انفصلوا عن «سنهدرين»[5] التي كانت تخضع لسلطة الصدوقيين، ولم يقيموا علاقات تذكر مع الكهنة، بل

1. Essene
2. Zealots
3. Pharisees
4. Sadducees

٥. جمعية

اختلطوا بشكل أكبر مع الناس العاديين والباحثين والمعلمين.[١]

وكان «الصدوقيون» جماعة من النبلاء والأعيان ممن كانوا يتولون إدارة الشؤون المتعلقة بالمعبد. وهذه الجماعة التي كانت حياتها مرتهنة بالمعبد، زالت مع تهديم المعبد عام ٧٠ للميلاد.

وقد أخذ اسم الصدوقيين، من صادوق بين اخيطوب الذي عين في منصب الكهانة من قبل النبي **داوود**عليه السلام. (الكتاب الثاني لصموئيل ٨: ١٧ و ١٥: ٢٤). واحتفظ صادوق بهذا المنصب أيضا في عهد النبي **سليمان**عليه السلام. (الكتاب الأول للملوك ٢: ٣٤).[٢]

وحسب **ويل ديورانت**، فقد استمرت سلطنة النبي داوودعليه السلام (٩٧٤-١٠١٠ ق.م) وسليمان النبيعليه السلام (٩٣٧- ٩٧٤ ق.م) لمدة ٧٣ عاما[٣] وبعده، أصبح آصف بن برخيا، وصيّ النبي سليمانعليه السلام.

وعلى مرّ هذه السنين وإلى أن خضعت مصر وفلسطين لهيمنة اليونانيين (٣٣٢ ق.م) وتأسست الاسكندرية، كان اليهود يمضون أيامهم وحياتهم في التجاذبات والصراعات السياسية والاجتماعية وتحت زعامة فرقتي «الصدوقيين» و «الفريسيين»، وأخذوا بوصفهم قوما متدينين، يتطلعون إلى المستقبل على أمل ظهور السيد **المسيح**عليه السلام.

وكانت هذه العبارة من الكتاب المقدس، سائدة بين اليهود: «ومع أن بدايتك كانت متواضعة، لكن عاقبتك ستكون رفيعة» (٧: ٧ أيوب). وكان اليهود وبعد الدمار الاول الذى لحق بمدينة القدس، بانتظار قائد الهى فاتح يعيد مجد واقتدار «شعب الله» إلى العصر الذهبى لداوود

---

١. **جوويور، مري**، «مدخل على المسيحية»، ترجمة حسن قنبري، مركز دراسات وبحوث الاديان والمذاهب، الطبعة الاولى، ١٣٨١، صص ٦٧-٦٩.

٢. **توفيقي، حسين**، «التعرف على الديانات الكبرى»، مؤسسة دراسات وتاليف كتب العلوم الانسانية للجامعات، الطبعة الاولى، ١٣٧٩، ص ٩٦.

٣. **ويل ديورانت**، «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ج ١، صص ١٣٩-١٤٠.

وسليمان. وكانت الشخصية، المنتظرة تسمى ماشيح (الممسوح). وكان ماشيح لقب ملوك «بنى‌اسرائيل»، لانه وفقا لتقليد ما، كان الأنبياء يسكبون الزيت على رؤوس عدد محدود من الناس، ويضفون بذلك نوعا من القدسية عليهم. وقد أطلق هذا اللقب فى الأزمنة الغابرة على ملوك اليهود المثاليين. والمفردة الفارسية «مسيحا» أخذت من المفردة العبرية «ماشيح» فى ضوء تلفظها اللاتينى (Massiah).[١]

وبعد وفاة **الاسكندر** عام ٣٢٣ ق.م. قسمت إمبراطوريته بين القادة المتنافسين. وخضعت بذلك «مصر» و«فلسطين» لحكم «بطلميوسيان». ووفرت هذه الواقعة ظروفا ملائمة لليهود، وفي الوقت ذاته، أدت إلى إنجذابهم للثقافة اليونانية الحاكمة لدرجة أن:

وبعد فترة، أصبح من الصعوبة بمكان فهم اللغة العبرية، وجعل المجتمع اليهودى فى الاسكندرية – أهم مجتمع يهودى فى مصر – بنحو عام ٢٨٠ ق.م.، من الضرورى ترجمة النصوص المقدسة لليهود اليونانيين، إلى اليونانية.[٢]

لكنه لم يمض وقت طويل، ومع هجوم «السلوكيين اليونانيين» ومحاولاتهم للإستيلاء على بابل (٢١٣ ق.م) حصلت محاولات لفتح فلسطين التي خضعت عام ١٩٨ ق.م. لنفوذ وسيطرة السلوكيين بالكامل. ومنح هؤلاء، اليهود، الحرية والحكم الذاتي بشكل واسع النطاق.

إن أحد الإحتياجات الضرورية للعصر والتي انكب الكُتّاب على إحيائه لردح من الزمن هو تأسيس مجلس حكومي أو Gerousia لإدارة الشؤون السياسية والقضائية والاجتماعية للمجتمع وكذلك تعليم وتفسير التوراة. وكان هذا المجلس يلبي حسب مقتضيات الساعة، الإحتياجات الدينية للمجتمع ويصدر الأوامر

١. **توفيقي، حسين**، المصدر السابق، صص ١٠٠-١٠١.
٢. المصدر السابق، صص ٣٩٨-٣٩٩.

اللازمة.

وكان على رأس هذا المجلس الحكومي الذي عرف لاحقا باسم «سنهدرين»،[١] إثنان من المعلمين المعروفين ب «زوغوت»،[٢] أحدهم كان يدعى «ناسي»[٣] (الأمير) والاخر «اب بت دين»[٤] (رئيس المحكمة).

وكان أعلى مجلس للقضاة اليهود فى اورشليم يدعى «سنهدرين». وسنهدريون فى اللغة اليونانية تعنى، المجلس الأعلى. وفى العبرية تعنى القضاء وبيت العدالة وتسمى «بت دين». وإضافة إلى أورشليم، كان يوجد سنهدرين فى جميع مدن فلسطين، وكان يضم ٧ إلى ٢٣ عضوا. وسنهدرين الكبير الذى كان فى اورشليم، كان يضم ٧١ عضوا ويتولى رئاسته، كبير الكهنة – الذى كان أيضا رئيس مجتمع اورشليم-. وكان هو مندوب اليهود فى مقابل الروم. وكان المجتمع اليهودى يحظى من ناحية المحاكم لاسيما الحقوق الدينية، بمزايا خاصة، تميزهم عن باقى مستعمرات الروم.[٥]

وفي أعقاب الصراع الذي اندلع بين الحكومات اليهودية وكل من سورية ومصر الأجنبيتين، وبزوغ نجم الروم التي كانت تكشر عن أنيابها لابتلاع الشعوب الصغيرة، استولى الرومان على «يهودية» في عام ٦٣ ق.م.

وأصبحت يهودية اليوم ولاية من ولايات الروم، وكانت «بمبى» [حاضرة الحكومة الرومانية] أوكلت إلى «هيركانوس» مسؤولية إدارتها، وعينته مجددا ككبير الكهنة، لكنها أحجمت عن منحه عنوان الملك. وقد تقبل هيركانوس والنبلاء المحيطين به، تدريجيا حقيقة أن يهودية قد فقدت استقلالها، وأدركوا أن عقد الأمل على المستقبل رهن

1. Sanhedrin
2. Zuggoth
3. Nasi
4. Ab Beth Din

٥. **اشتياني، جلال الدين**، «دراسة في الديانة اليهودية»، المصدر السابق، ص ٤٢٦.

بالإستسلام للروم...[١] وكان «هرود» [اليهودى] بوصفه حاكما منصبا، يعتبر أن مصالح الروم هى فوق مصالح أتباعه. وقد أقدم باعتباره قسى القلب ومتوحشا وإنتقاميا، وكان على علم بسلطته الهشة على الناس، على إبادة جميع أعضاء أسرة «حشمونى»[٢] ولجأ إلى الحرب والنفى، لتقليل شأن الطبقات العليا للمجتمع (والذين كان الصدوقيون منهم) وإنزالهم إلى المواقع الدنيا. ومن جهة أخرى، فانه ومن أجل كسب ود ووفاء الناس العاديين أقدم على عمليات بناء وتشييد واسعة النطاق، ووفر فرص عمل للكثير وأنفق مبالغ طائلة لإعادة بناء المعبد. ولتلك الأسباب، سعى جاهدا لاستقطاب «الفريسيين» الذين كان يتزايد نفوذهم الاخلاقى والمعنوى بين الجماهير (على النقيض من الصدوقيين الذى كان نفوذهم يتضاءل) نحوه وعندما أحجم الفريسيون عن تأدية يمين الوفاء، لم يصر على مطلبه.

ولذلک فقد وضع نهاية لتدخل الفريسيين فى السياسة، ورضخ هؤلاء بوصفهم واقعيين لهذه الحقيقة المرة ألا وهى أنه لا سبيل من الناحية البشرية يمكنهم من إنقاذ البلاد من هيمنة الروم. وبمساعدة هذا الملک شبه الكافر، كانت سلطة وهيمنة الروم تتزايد عليهم أكثر فاكثر. رغم أنهم لم يفقدوا الأمل بأيام أحلى وافضل فى المستقبل. وفى هذه الفترة، كانوا يمنون النفس بالحرية التى منحت لهم لقراءة التوراة وترويج العلم وكذلک الإشراف على المراسم الدينية بين شرائح المجتمع.

وبصورة عامة، فان إعتزال الفريسيين للسياسة، أفضى بالضرورة إلى

---

١. **ايزيدور ابستاين**، «اليهودية ودراسة تاريخية»، المصدر السابق، ص ١١٦.

٢. وقد شهدنا في مطلع القرن الثاني قبل الميلاد، محاولات شجاعة لمجموعة صغيرة من اليهود، ورأينا كيف أنهم قاوموا الحملة التي كانت تستهدف القضاء على دينهم. وقد نهض الحشمونيون لمواجهة جيش سورية، لان انتيوخوس ابيفانس، كان تجرأ للإيعاز إليهم بالإعتداء على أحكام اليهود، على أمل أن ينسوا «التوراة» ويغيروا جميع أحكامه. (مكابيان، القسم الاول، الفصل ١، البند ٤٩).

انفصال الإدارة السياسية والدينية للدولة. وهذا أدى بدوره إلى إيجاد «سنهدرين» إثنين. سياسى ودينى. وكان السنهدرين السياسى متفوقا على كل شئ ويتشكل من الأشراف الصدوقيين، ويرأسه كبير الكهنة ويتولى الإشراف على الشؤون السياسية وعلاقات الحكومة بالدول الاخرى، فيما كان السنهدرين الدينى المعروف بـ«بت دين» الكبير، ويرأسه إثنان من الكهنة، يشرف على الحياة الدينية للناس وجميع الشؤون المدنية والاسرية بالكامل طالما أن هذه القضايا لا تتداخل مع سياسات الحكومة.[١] **إن الفريسيين ومن خلال إستثمار هذا الموقع تماما، قاموا بتعليم وتفسير التوراة، واصدروا أحكاما باسمه بشأن جميع الشؤون الدينية أو الاخلاقية وحاولوا مواكبة أحكامه وتعليماته مع الظروف المتغيرة، بينما كانوا يشجعون مواطنيهم فى جميع الأوقات على مراعاة الأوامر الالهية بصورة دقيقة ويحيون فى قلوبهم الامل بمجئ المسيح المنقذ لإعادة المجد التليد والسمو القومى العريق إلى اسرائيل وجلوس الاله الواحد على العرش بين الأناس.**[٢]

ويقول مؤلف كتاب «تاريخ الكنيسة القديمة» حول موقع اليهود و«اورشليم» قبل ولادة السيد **المسيح** عليه السلام:

لقد إنتشرت الحضارة والعلوم اليونانية فى جزء مهم من العالم القديم قبل ولادة المسيح عليه السلام **[لكن ومع اهتزاز أعمدة سلطة خلفاء الاسكندر، بادر الروم المهاجمون للبلدان، إلى توسيع نطاق فتوحاتهم] وتغلبوا على ملوك السلوكيين وضموا تلك البلاد بولايات الروم. لقد هاجموا اورشليم فى يوم السبت حيث لا يخوض اليهود حربا للدفاع عن المدينة، واستولوا**

---

١. وأول من طرح نظرية وجود سنهدرين إثنين، هو الدكتور **ادولف بوخلر**، المدير السابق للكلية اليهودية في لندن والذي طرح هذه النظرية في كتاب Das Synderion in Jerusalem und Grosse Beth Din in der Quader Kammer، فيينا، ١٩٠٢. واستقطبت نظريته اتباعا ومؤيدين كثر منذ ذلك الحين.

٢. **إيزيدور ابستاين**، «اليهودية ودراسة تاريخية»، المصدر السابق، صص ١١٧-١١٨.

عليهـا. وتباهى بمبه بانه اسـتولى فى هذه الحـرب على ألوف الحصون الحربية وجعل نحو ١٢ مليون نسمة يخضعون للروم وأودع مايزيد على ٢٥ مليـون تومان [بعملة الزمن الحاضر] إلى خزينة الروم، لذلك يكون الروم قد إستولوا على الأرض المقدسة قبل ولادة المسيح عليه السلام.[١]

ويقـول و.م. **ميلر** حول الاوضاع السياسـية والاجتماعية للـروم ومعتقداتهم الدينية:

لقـد كان اليونانيون والروم القدماء، مشـركين ويؤمنـون بآلهة متعددة من الذكور والإناث، وكانوا ينسـبون التوالد والزواج والأكل والشـرب والنوم والحرب والجراح والسـرقة والزنا إلى هؤلاء الآلهة، لكنهم كانوا يعتقـدون بان هذه الآلهة أبدية ولا تزول. ومعلوم «أن أحدا لا يسـتطيع أن يكـون أفضـل من معبوده» لذلـك فأن الذين كانـوا يؤمنون بهكذا آلهة، كانوا يتدنسـون بطبيعة الحال بـأى ذنب وتلوث، بحيث أن بولص شـرح هذا الموضوع فى الفصل الاول من رسـالة إلـى الرومان. وبداية كان الكثيـر من الروم خائفيـن من غضب الآلهة ويتجنبـون الحنث فى اليمين وارتكاب بعض المعاصى، لكن فى عصر المسـيح عليه السلام فان الكثير من علمائهم، لم يعودوا يؤمنون بآلهتهم وبما أنهم لم يسـتطيعوا شخصيا الوصول إلى معرفة الإلـه الواحد وخالق جميع الكائنات، لذلك واصلوا عدم الإيمان. لذلك وبما أنهم لم يعودوا يأملون بالحياة المسـتقبلية ولا يخشون يوم الحسـاب، فانهم لم يتوانوا عن ارتكاب ما شاؤوا، وبالتالى أصيبـوا بسـوء العاقبة. ويقول فيلسـوف رومى يدعى «سـنک» الذى عاصر بولس الرسـول: «لقد امتلأت الدنيا فسـقا وجريمة، إن ممارسـة الاعمـال القبيحة والشـنيعة بلغت مرحلة لا يمكن فيهـا إصلاح الأمور. وشـب جدال هائل من أجل الشـرّ. وترتكب الجرائم ليس فى الخفاء بل

١. و.م. **ميلر**، «تاريخ الكنيسة القديمة»، ترجمة **علي نخستين**، ١٩٨١، دار الحياة الادبية للنشر، صص ١٢-١٤.

أمام الأعين والملأ. وأصبح الطهر والعفاف ليس نادرا فحسب بل لم يتبق منه أى اثر». وبالرغم من أن غياب الإيمان كان قد بلغ هذه الدرجة، كانت ثمة خرافات لا تزال سارية. وانتشر الخوف من الجنّ الذين كانوا يرونه أنه يريد إيذاء الناس، وكانوا يلجأون مثل بعض أناس هذا العصر إلى بعض الأدوات والطرق لصد شر هؤلاء الجنّ. وكانت أصنام باسم «لارز» و «بناتز» موجودة فى كل بيت، وكانت حسب معتقد أهل هذا المنزل، تجسد أرواح أسلافهم. وكانوا يقدمون لهذه الأوثان أنواع الطعام والشراب يوميا من أجل إسترضائها ولفت اهتمامها تجاههم. وقد وقع الناس فى قبضة الاسر لدرجة أن الناطق الرومى الكبير «سيسرو» يقول: إن السكينة والطمأنينة غير متوفرتين لأى أحد.

وكان الكثير قد استاء من التوتر والقلق ولجأ إلى عبادة الآلهة التى جلبت من مصر واسيا. ومن هؤلاء الآلهة، كان أحدهم يدعى «سيبيلة» الذى كان يعتبر جدة الآلهة ورب نوع الحياة والتناسل، وكان عدد من الكهنة المحايدين يخدمونه، ولإثارة مشاعر الناس، كان البعض منهم يجرح نفسه بالسكين لكى يسرى الدم منه، فيما كان البعض الاخر يضع إلهه على حمار ويسير به هنا وهناك، ويحصل على المال من العابدين. ومعظم هذه العبادات كانت مترافقة مع ذنوب كثيرة، وأن الأشخاص الذين كانوا يريدون الوصول إلى الراحة والسكينة بهذه الطريقة، كانوا يصابون باليأس والإحباط.[١]

وجاءت ولادة السيد **المسيح** عليه السلام إبان سلطنة **هرود** وفي ظروف سياسية واجتماعية حافلة بالتوترات. وقد أحدثت «النهضات المسيحية» و «التمرد على السلطة الحاكمة» و «التضاد والحقد بين الشرائح اليهودية الثرية التابعة للسلطة الحاكمة والأغلبية من الفقراء والمساكين» ظروفا خاصة، جعلت اليهود الفقراء

١. و.م. **ميلر**، المصدر السابق، صص ١٥-١٧.

يعقدون مزيدا من الأمل على ظهور **المسيح** عليه السلام المنقذ.

لقد أخبروا عن ولادة عيسى عليه السلام في عهد سلطنة هرود (متى ١/٢). وتصادف هذا مع تصاعد نهضات اليهود. وفي مطلع القرن الأول للميلاد، أبدى اليهود الذين كانوا يتعذبون من ضغوطات الروم، ردات فعل في مقابل حكومة الروم، ونسب العديد منها إلى منتظرى المسيح، لكن جميع هذه النهضات، كانت تقمع على يد الروم.[١]

ويكتب **عبدالله شهبازي** حول عدد اليهود الذين كانوا يقطنون إمبراطورية الروم خلال الاعوام التي صادفت ظهور عيسى المسيح عليه السلام:

وتقارن زمن ظهور عيسى المسيح عليه السلام مع ترويج التقاليد الدينية الموسوية بين شعب الإمبراطورية الرومية. واشتهر هؤلاء الأشخاص في المصادر التاريخية باسم «اليهودى» ومعتقداتهم الدينية باسم «اليهودية». على سبيل المثال، فان الامبراطور كلوديوس، أعلن عام ٤٨ للميلاد بان عدد «اليهود» الذين يقطنون إمبراطورية الروم بلغ ٦,٩٤٤,٠٠٠ نسمة. وهذا [الإحصاء] يناهز العشرة بالمائة من مجمل سكان هذه الامبراطورية. وكان هؤلاء الموحدون يعتبرون أنهم أتباع موسى عليه السلام، ويتبعون تعاليم مصلحين بمن فيهم «يوحنا المعمدان» (النبى يحيى) ويكرهون الترف وكهنة اليهود بشدة. وكانت هذه ظاهرة حديثة تماما ومتميزة واختلفت بشكل جوهرى عن اليهودية بمعناها العرقى والقبلى السابق وعن اليهودية الجديدة. وهؤلاء الناس هم الذين تحولوا إلى أوائل أتباع عيسى المسيح عليه السلام وأسسوا الديانة المسيحية العالمية.[٢]

وسنرى في الكتاب اللاحق وفي ضوء دراسة خلفيات كل ما جرى للأمم والشعوب السالفة، كيف أن تيار «قبيلة اللعنة» المخرب والشرير، يواصل من

١. **اشتياني، جلال الدين**، «دراسة في الديانة المسيحية»، نكارش للنشر، الطبعة الثانية، ١٣٧٩، ص ١٠٦.
٢. **شهبازي، عبدالله**، «مكتنزو الذهب اليهود والفرس»، ج ١، مؤسسة الدراسات والبحوث السياسية، ١٣٧٧، ص ٣٧٧.

خلال التقلبات والتغيرات التاريخية، حياته المؤذية.

كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٥